الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique Et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الأداب واللغات

قسم: اللغة والأدب

المرجع: .....

التّراث الصّحراوي في رواية "منَّا قيامة شتات الصّحراء" ل"الصّدّيق حاج أحمد"

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالب:

- عين الجانب بوعلام

إشراف الأستاذة

- نادية بوفنغور

السنة الجامعية

2024-2023

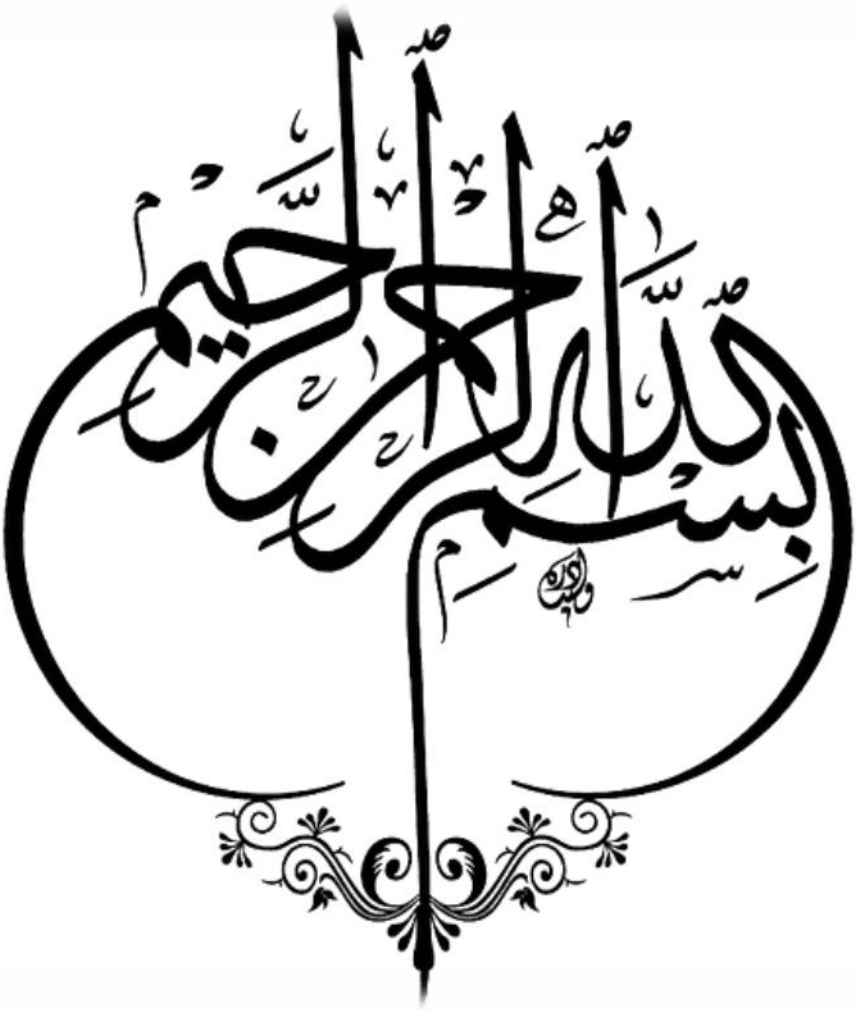
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال الله تعالى:" لئن شكرتم لأزيدنّكم "

فالحمد لله، الحمد لله، الحمد لله، أوّلاً وأخيرًا الحمد لله حمدًا يليق بجلاله وعظمة سلطانه ،الحمد والشّكر لله هو الّذي منحنا الصّبر والعزيمة لإتمام هذا العمل ، ونسأله عزّ و جل أن يكون خالصًا لوجهه الكريم نافعًا لإخواننا الطّلَبة من بعدنا .

إنه لمن دواعي العرفان بالجميل أن نتقدّم بالشّكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة "نادية بوفنغور" والّتي كانت لنا السّند المعين، والأم الصّابرة على تقصيرنا، والكريمة بتّوجيهاتها

وإلى كلّ من ساعدنا في إتمام هذا العمل

وجزى اللهُ خيرًا كلَّ أولئك المعلّمين الّذين علّمونا حتى استوينا وفككنا الحروف .

مقدمـة

مقدمـة:

يُعَدّ موضوع توظيف التّراث في النّصوص الأدبيّة العربيّة عمومًا والجزائريّة خصوصًا من المواضيع التي كثر فيها التأليف بِاعتبار التّراث من الآثار التي خلّفتها البشريّة للأحفاد فأسهمت في توطين جذور حضارتها، وأبانت عن أصالتها، وثقافتها العميقة، واتّخذ الأدباء من هذه الآثار مَعْيَنًا لا ينضَبُ تعبيرًا عن قضايا فنيّة، رمزّية وتاريخيّة، موظّفين هذا الزّخم في إيداعاتهم الفنيّة على غرار عبد الحميد بن هدوقة، الطاهر وطّار، واسيني الأعرج، عبد الملك مُرتاض، والحاج أحمد الصّديق الزيواني.

جاء بحثنا موسومًا بالتّراث الصّحراوي في رواية (منا قيامة شتات الصّحراء) للحاج أحمد الصّديق وكان اِختيارنا لهذا الموضوع بحكم ميولنا نحو الرّواية عامّة وأدب الصّحراء خاصّة.

حاولنا في هذه الدراسة أن نقدِّم قراءةً تأويليّة وسميائية للرّواية في ظلّ هذا المكان الصّحراوي وهذا الزَّخم التّراثي.

فجاءت مقاربتنا إجَابَةً عن الإشكاليّة الآتية:

- ماهي تجليات توظيف التّراث الصحراوي في رواية منا؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة وضعنا خطة للبحث والدّراسة تمثّلت في: مدخل عام حول الرّواية العربيّة الصّحراويّة، ثم أتبعناه بفصلين أحدهما نظري والآخر تطبيقي.

اِشتمل الفصل الأول على مبحثين، عَنونّا أوّلهما بالمتخيّل الرّوائي وتعريفه لغة واصطلاحًا، وتَلاه المبحث الثاني بعنوان تجليّات الصّحراء في الرّواية الجزائرية.

أمَّا الفصل الثّاني فكان فَصْلاً تطبيقيًّا صِرْفًا، تمّ فيه استخراج الأشكال التّراثيّة الصّحراويّة الموظّفة في الرّواية مع إبراز دلالة هذا التّوظيف وإيحاءاته الّتي يَرمي إليها.

وقد اِعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع منها: الرّواية كمصْدَر.

وزمن الرواية العربية لبهاء الدين محمد يزيد ،والرّواية العربيّة المتخيّل وبنيته الفنيّة ليمنى العيد، وتوظيف التّراث في الرّواية العربيّة المعاصرة لمحمّد رياض وتّار كَمَرَاجِعَ.

وختمنا بحثنا هذا بخاتمة تمثّل عُصَارةَ وحَوْصَلةَ ما توصلّنا إليه من نتائج.

وقد اِعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج السّميائي و نظرية القراءة لأنّنا رأيناهما الأنْسَب لَهَا في شيء من المرونة وعدم التّناقض.

وقد واجهتنا صعوبات لعلَّ أبرزها ضيق وقْتنا بحكم وظيفتنا وارتباطنا المهنّي ،وكذا قلّة المراجع الّتي تتناول الأدب الصّحراوي والدّراسات الّتي تناولت منّا على حدّ علمنا.

وفي الأخير نحمد الله حمداً كثيراً على تمام نعمته أن وفّقنا لإتمام هذا العمل، كما لا ننسى أَن نتقدّم بالشكر الجزيل والعرفان المديدِ إلى الأستاذة المشرفة "نادية بوفنغور"، فلولا تشجيعاتها وتوجيهاتها السَّديدة ما عرف بحثنا النّور.

كما أوَدُّ أن أشكر أستاذنا الفذّ "محمد قشّي" (هرمون السّعادة) كما أُسمّيه إذ لَهُ فضل كبيرُ علي بعد الله بعد أن كاد يسْتَبدّ بني اليأس ذات يومٍ.

وإذ لا أنْسى أيضًا عُمّال المكتبة المجدّين فلهم عَلينَا أفْضَال كثيرة.

وجزى الله خيرا كلّ من علّمنا وساعدنا في ما وصلنا إليه أخيرًا.

مدخـل

المبحث الأول: مدخل عام حول الرواية العربية الصحراوية

يُعتبر الأدب من أشكال التّعبير مادّته اللّغة، يعبّر عن حياة الشّعوب وآمالهم وطموحاتهم ويلتمس الحلّ والمخرَج لأزماتهم كما يخلّد مآثرهم. وينقل خبرات الأجداد للأجيال المتلاحقة. فلا يخلو مجتمع من الأدب والأدباء، لأنّ الإنسان اجتماعيّ بطبعه ينشئ علاقات والأدب يصوّر هذه العلاقات باعتباره مرآة المجتمع ومَنبته.

والرّواية هي الفضاء الأرحب والأوسع لاحتواء الأدب وتصوير خصائص الشّعوب والأمم وتراثهم.

وقد عمد الكثير من الأدباء العرب إلى تصوير بيئة الصّحراء في إنتاجاتهم منذ عهد الجاهليّة إلى يومنا هذا، نصوص اتّخذت من الصّحراء موضوعا لها، من خلال جعلها فضاء لمتونهم السّرديّة أو من خلال استثمار مكوناتها الطّبيعية أو العلاقات الاجتماعيّة التي تَنتُج عن استقرار سكّانها، حتى في حالات ترحالهم نظرا لقساوة الطّبيعة هناك .

لقد صار يُنظر إليها اليوم جزءا لا يتجزأ من تراثنا الطّبيعيّ رغم قفرها إلا أنها غنّية بالتّراث الثّقافيّ والإنتاج الرّمزي، "فهي دوما أوسع فضاء" [1].

إنها ليست ذلك الخلاء الموحش وذاك الفقر الدّاكن الموحي بالخطر .

يراها الكاتب اللّيبيّ إبراهيم الكوني وحدها تغسل الرّوح، تتطهّر، تخلو، تتفرّغ، تتفضّى، فيسهل أن تنطلق لتتّحد بالخلاء الأبديّ، بالأفق، بالفضاء المؤدّي إلى مكان خارج الأفق، خارج الفضاء بالدنيا الأخرى، بالآخرة نعم بالآخرة. هنا فقط، هنا في السّهول الممتدّة، في المتاهة العاريّة، حيث تلتقي الأطراف الثلاثة: العراء، الأفق، الفضاء، لتنسج الفلك الّذي يسبح ليتصل بالأبدية .. بالآخرة[2].

فالصّحراء في أدبنا سحر أسطوريّ كامن في الخيال الجمعيّ للإنسانية عامة، والعربي خاصة، حيث تبرز في وعيه ومخيلته مَجمعا للخصائص، منسجمة مع طبيعتها المتقلّبة، فهي لا تسكن حينا حتى تثور حينا آخر، ولا ترضى لحظة حتى تغضب أخرى تفرح فيتحوّل الكون إلى مسرح شعريّ رائع، وتغضب فيكون في غضبها الهلاك والشّقاء.

---

[1] حسن المودن، الرواية والتحليل النصي، دار العربية للعلوم، د ط، ص 62.

[2] إبراهيم الكوني، التبر، أليس للكتب والنشر، لندن، سبتمبر 1990، ص 127.

لقد اقتحم الرّوائيون العرب المكان الصّحراوي بفضاءَيه الزّماني والمكاني وشكّلت الصّحراء مكانا شاسعا لعمل وتنقّل شخوص متونهم منذ ظهور أول رواية عربيّة، فهذا (حامد) بطل رواية (زينب) لحسين هيكل، يغادر المدينة ويترك حضارتها وجمالها متّجها إلى الصّحراء السودانية، وكذلك فعل مثله الكاتب (إبراهيم) بطل المازني. وأبطال رواية (رجال في الشمس) لغسان كنفاني مصورة حياة الفقر وشظف العيش والقحط والجفاف في سهل حوران وروايات أخرى مثل: (البحث عن وليد مسعود) لجبرا ابراهيم جبرا و (حارة البدو) لإبراهيم الخليل وسواها. وابراهيم الكوني في (التبر) و الحاج الصديق في (مَّا) وغيرها .

لقد أجمع هؤلاء على رسم وتصوير كافة المظاهر الطّبيعية وقدموا تفاصيل دقيقة عن تضاريس الصّحراء وعن الحياة الاجتماعية والثّقافية والاقتصادية والسّياسيّة وعرّفت أعمالهم الأدبية المتلقّيَ العربي على مفردات أهل الصحراء إن لم نقل لغتهم ،وعلى عاداتهم وطقوسهم (الشّاي... والفلكلور والأساطير والنّوادر والتّعاويذ والأضرحة والأشعار والأغاني والأمثال الشّعبيّة وحتى أنواع الطّعام واللّباس وغيرها).

المبحث الثاني: المتخيّل الرّوائيّ

ارتبطت الكتابات العربيّة في غالبيتها بالواقع وما يمور فيه، وما ارتبط فيه أيضا من تحوّلات عميقة حدّدت توجّهاته الإديولوجية، وتركيبته النّفسيّة ،فالمتخيّل يرتبط بالمرجع الواقعيّ أي إحالته إلى واقع متوهم باعتباره عملية ابتداعية، حيث إنّ "بناء عالم الرّواية المتخيّل بما يجعله يحيل، هو عمليّة تناط بكاتب الرّواية، واعتبار علاقته هو بالعالم حوله أو بالحياة بما هي وجود اجتماعي أو بما هي واقع فعلي، وباعتبار الكاتب مؤلّفا فردا ما يعني أن الرّواية لا تكتب فقط من الرّواية بل تكتب كذلك أو تؤلف بعلاقة مع الحياة"[1].

والمتخيّل السّردي هو تمثّل للتّحوّل الاجتماعي والسّياسي وظهور الشّخصيات ذو علاقة بالواقعية والإيديولوجيا والتّاريخ على السّواء، إذ يظهر ذلك جليّا في أدبنا الجزائري في كلام الأديب الطاهر وطّار متحدّثا عن مناسبة كتابة روايته (اللاّز) :

[1] يمنى العيد، الرواية العربية، المتخيل وبنيته الفنية، دار الفارابي، ط1، بيروت، 2011، ص 36.

"كان يطغى عليّ الشّعور بالذّنب، إنّ بلادي تسير إلى الأمام بخطى عملاقة، المدارس تنبت من الأرض نباتا، والمعاهد تتطاول في المدن ... وأنا مشدود إلى هذه القصّة أتفرّج على الماضي ولا أساهم في المعركة الحاضرة" .[1]

[1] علال سنقوقة، المتخّيل والسّلطة في علاقة الرّواية الجزائرية بالسلطة السياسية، منشورات كتاب الاختلاف، ط1، جوان 2000، ص 26.

الفصل الأوّل

المبحث الأول: المتخيل

أ. **لغة** " ورد في لسان العرب لابن منظور مادة (خيل) بمعنى: خال الشّيء، يخال خيلا وخيلة وخيالة ومخالة ومخيلة فتخيّل وخيلولة : ظنّه وتخيّله : ظنّه وتفرّسه، وخَيَلَ عليه: أخال الشّيء اشتبه، ... وشيء مُخيل مشكّل ..."[1]

ومنه نلاحظ أن خيل تحمل معان عديدة، فقد جاءت بمعنى الظّن، التّفرّس، الشّبه، المُشكّل.

ب. اصطلاحا:

لم يستقم تعريف المخيال أو المتخيّل على تعريف واحد لدى الباحثين والدّارسين والنّقاد على السّواء، حيث نجد هناك (الكندي) و (الفارابي) و (ابن سينا) يقرنون التّخيّل بالوهم وهو ما يقابل كلمة الفنتاسيا في اللّغة اليونانية التي تعني النّور ويُرجع البعض ذلك إلى التّرجمة، ويقال :" التّخيل هو حضور الأشياء المحسوسة مع غيبة طينتها" [2].

والكندي جعل الخيال مرادفا للوهم والتّضليل دون ربطه بالعمليّة الإبداعيّة أو الشّعريّة، إذ أنّ الخيال هو ما يؤثّر في المتلقّي فيحرّك انفعاله ويجعله يتجاوب مع العمل أو ينفر عنه.

في حين" تحدّث الفارابي وابن سينا عن الخيال واتّفقا في أنه قوّة وهميّة، قوى الإدراك الباطنيّة حيث تتولى استعادة المحسوسات المختَزنة من الخيال، وتتعدّى إلى وظيفة ابتكاريّة شعرية إبداعية لم يدركها الحس من قبل" [3].

ونجد الفارابي تحدّث كثيرا عن الأثر الأدبيّ في المتلقّي إذ يقول: " ما يقع في أنفسنا شبيه بما يعرض عند نظرنا إلى الشّيء الذي يشبه ما تعافه، فتنفر منه".[4]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب. مج5. دار صادر للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، مادة خيل، ص 191–192.

[2] رشيد كلاع ، الخيال والتخييل عند حازم القطاجني عن النظرية والتطبيق، ص 16–17.

[3] المرجع نفسه، ص 15–16.

[4] الفارابي ، إحصاء العلوم، ط 1،1991، مركز الإحياء القومي للترجمة، ص 19.

ومنه نرى أنّ نظرة الفارابي إلى الخيال نظرة نفسيّة.

وأمّا بن سينا فينظر إلى الخيال على "أنه دعامة الشّعر وأساسه ، يترك أثره على المتلقّي فيحرك انفعالاته لاستمالة وجذب القارئ إلى ما يريده أو ينفّره عمّا يكره ،وهناك تظهر عبقرية الشّاعر، فالشعر يتركب من كلام مُخيّل تذعن له النّفس، فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أخرى" [1].

وفيه يقول الجرجاني : " ... هو ما يثبت قيمة الشّاعر وهو غير ثابت أصلا ويدّعي دعوة لا طريق إلى تحصيلها ويقول قولا ويخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى..."[2]

المبحث الثاني: تجلّيات الصّحراء في الرّواية الجزائريّة المعاصرة

كثرت التآليف الرّوائيّة العربيّة في فضاء المدينة وأصبح يكاد يكون تقليدا لا يحيد عنه الرّوائيّون العرب تأسيا بالغرب، فكانوا قارئين لأدبهم، كاتبين لواقع أمتهم. مصوّرين أحلامها وطموحاتها.

غير أنّ هذه المدينة في الغالب تنازعتها أفكار عميقة عقيمة، ضياع وانبهار بالآخر ثم ثورة على الوعي السّائد لمحاولة إيجاد وعي حداثي هدفه التّطلّع إلى المستقبل ودخول عالم المغامرة في الرّواية العربيّة، فكان ذلك بداية الانسلاخ والتخلّي عن النّمطية السّائدة وبناء اتجاه جديد مغاير قوامه معاداة الفكر الغربي والالتزام بفن عربي أصيل يزخر بالخصوصيّة العربيّة ويعمق الانتماء الحضاري له، فكانت الكتابة الصّحراوية بداية القطيعة، حيث ارتمى الروائيّون العرب والجزائريون خاصة في أحضان المكان الصّحراوي، ووجدوا فيه أرضا خصبة لزرع أفكارهم وبثّ توجهاتهم بعدما أتقنوا الفن الروائي.

وتحولت الصّحراء القفر إلى أرض خصبة بفضائها اللاّمتناهي باعتبارها تمثّل وطنا مهمّشا وآن الأوان لرد الاعتبار له، وجب أن يكون المركز كما كان سابقا، رمزا للانتماء والهويّة والذاّت العربيّة وتاريخ الوجود، لاجئين في ذلك إلى استنطاق كُنهها بما تزخر به من تراث، مستمدّين منه الأصالة والقوّة والضّمير الجمعيّ باختصار إنه الوطن ولا شيء يعلو فوق كلمة الوطن.

---

[1] محمد شكري عياد، أرسطو طاليس. دط ،1967. دار الكتاب العربي، ص 197.

[2] مشري بن خليفة، القصيدة العربية الحديثة في النقد العربي المعاصر. ط1، 2006، منشورات الاختلاف ص 56.

لقد تبيّن لهم واضحا أن المدينة فضاء ضاعت فيه القيم والهويّة، فضاء صار يهدّد المجتمع العربي وأن الوقت صار ملائما لاستبداله بالصّحراء موطن القوة، صانعة القادة العظماء.

حفلت بعض الرّوايات الجزائريّة بالفضاء الصّحراوي واستلهمت منه بناءها الفنّيّ ونذكر منها:

- رواية أعوذ بالله للسّعيد بوطاجين
- ومملكة الزيوان وكذلك قيامة شتات الصّحراء للصّديق حاج أحمد واعترافات أسكرام لميهوبي.
- وتيممون لرشيد بوجدرة.

- الصّحراء في الرّواية الجزائرية المعاصرة:

كانت المدينة بصخبها ومشاكلها فضاء رحبا اغترف منه كثير من الأدباء العرب في متونهم الروائية واتّجه غيرهم إلى فضاء الصّحراء لسحر جمالها وهدوئها وعراقة تاريخ شعبها ،حتى يمكن القول إنّ الصّحراء بجمالها ورسومها ورموزها أيقونة استلهم منها الرّوائيون الجزائريّون عوالم أدبية تجلت في كتابات العديد منهم.

1- تلك المحبة للحبيب السّابح

هي رواية تعانَق فيها الخيال بالواقع في فضاء عمق الصّحراء الجزائرية. يصور فيها الكاتب الحبيب السايح معاناة طبقة رقيق الصّحراء العاملة بتشييد القصور حتى غدت الصّحراء المقفرة واحات خضراء ممتدة بفضل سواعد هؤلاء الرّقيق بمدينة أدرار.

فالسّارد في هذه الرّواية حيادي يصف الوقائع دون أن يتدخل إلا فيما ندر، فهو سارد خفيّ غير درامي يقوم بوظيفة تقديم المناظر خاصّة فيما تعلّق بتشخيص فضاء الصّحراء في بعده العجائبي والخارق أضفى جماليّة تصويريّة كشفت عن علاقة تفاعليّة بين الأرض (الصّحراء) والإنسان.

وكذلك جعل الصّحراء مرتعا لتلاقي الدّيانات الثّلاث ،الإسلام ،المسيحيّة واليهوديّة، فكان فضاءَ تفاعل بين المتناقضات:" المحبّة والكره، السّيّد والعبد، والتّسامح والحقد، والعفّة والجنس"[1].

2- رواية (أعوذ بالله) للسّعيد بوطاجين:

[1] الحبيب السايح. تلك المحبة ، دار ميم للنشر(ط1) 2016 الجزائر، ص 67.

يبرّر الكاتب توجّهه لاختيار فضاء الصّحراء في سرده فيقول: (قبل أن آتي إلى هنا لماذا أتيت؟ كانت لي أجوبة مهمّة، أجوبة طويلة قادرة على الإحاطة بجمهورية من الخنازير والسياسيين)[1].

فالصّحراء لدى بوطاجين هي فضيّة وملجأ، جاءها طالبا العون والنّصرة من ظلم الشّمال وأهله. جاءها سابرا لأغوارها ،محاولا فكّ طلاسمها، جاءها باحثا عن ذاته : " جئت إلى هنا باحثا عن حقيقتي الذّاتية، وعن حجج أخرى بلغني أنها مدفونة في العين، في جهات غامضة في المقبرة وفي ضريح أسعد وفي الرّمل وفي ذاكرة النّخيل في ألم النآس وفي مشاعرهم وشعورهم وأشعارهم الخبيئة"[2].

الصّحراء في (أعوذ بالله) لبوطاجين هي بمثابة الطّهارة من دنس الشّمال وأدرانه، رمز النّقاء والصّفاء، هي الملاذ الآمن والفضاء الرّحب للبحث والتأمل في الذآت.

"إنها تلك الأرض الّتي لم تهندس يد الإنسان جغرافيتَها بعد ... قصدت المقام حاجا اهترأت عظامي في شمالكم"[3].

3- رواية (تيميمون) لرشيد بوجدرة :

يظهر فضاء الصّحراء في هذه الرّواية بعيون سائح متجوّل وليس بعينَي دليل أو مقيم فيها.

وفيها نجد رشيد بوجدرة يحاول أن يصف هذا الفضاء وصفا دقيقا لكلّ غريب عن عالم الشّمال، وهو جواب لكل من يسأل عن هدف هذا السآئح الطّيّار العسكريّ- سابقا- المطرود، المدمن على الكحول ،زيارته للصّحراء كانت على متن باص قديم ،حملت الرّواية تناقضات المشاعر والأحاسيس، وتصويرها بنقل وثيق وآخر فنّي جمالي مثير، مستمدّة جماليتها من جمالية المكان الصّحراوي ومخياله المتجلّي، و "قد احتلت تيممون بقصرها البربري نظام السّقي بالفقّارات ومشاهدة الطّبيعة ونظامها المعياري مركز الرؤية"[4].

---

[1] السعيد بوطاجين، أعوذ بالله ، دار الأمل ، الجزائر،ط1 ،2006، ص 37.

[2] الرواية ص 167.

[3] السعيد بوطاجين، أعوذ بالله ، رواية. دار الاختلاف. الجزائر، ط1، 2016، ص 28.

[4] الطاهر روابنية .الفضاء السيري وتداعيات الصوت الروائي في (تميمون) لرشيد بوجدرة، دار الاجتهاد، الجزائر، 1994، ص 58.

تمثل الصّحراء لبوجدرة فضاء هروب وأمان من دمويّة الشّمال. ثلاث مرّات في السّنة هي رحلة البطل من الجزائر نحو تيممون على متن حافلة مع خمسين من الرّكاب يجتاز المسار بجباله وألوانه الممتعة ومناظر الطّبيعة خصوصا وأن المنطقة ستشهد أجمل غروب وشروق في الكون.

فجاذبية الصّحراء هي ما جعل بوجدرة يجعلها مكانا رئيسيّا ومسرحا مفتوحا للتّعبير عن أحاسيسه مرتع أمان للتّخلّص من خوفه الّذي كان يتملّكه في كلّ لحظة. "إنّ الصّحراء هي الّتي تغسل الرّوح، تطهّر، تخلو، تتفرّغ ،تنقضي فيسهل أن تنطلق لتتّحد بالخلاء الأبدي"[1].

4- الصّحراء في رواية (اعترافات أسكرام) لعزالدين ميهوبي:

تدور أحداث الرّواية في منطقة الأهقّار موطن القبائل التّارقيّة في فندق أسكرام بالاس، الّذي تعود ملكيته لرجل ألماني يدعى (أدولف هوسمان).

وهي رواية تقوم على استشراف المستقبل واستباقه سنة 2040م تحديدا. حيث اقترح مالك الفندق إقامة مسابقة عن طريق القرعة يتمّ اختيار أربعة أشخاص يعترفون بما أجرموه في حياتهم علانية أمام الجمهور بمقابل الحصول على جائزة ضخمة تقدر بمليون دولار.

مثّلت الصّحراء فضاء للاعتراف، وفضاء للنّهاية باعتبار أنّ الفندق قد احترق وتحوّل إلى رماد.

وجاءت الرّواية حبلى بالعناوين الفرعيّة الّتي يحيل كلّ منها إلى قدسيّة الصّحراء وطهرها ممثّلة في: (أخاموخ) وهو مجاهد، (موسى أق مستان) وهو زعيم تارقي، الشيخ (آهار) وهو اسم بالتّارقيّة ويعني الأسد وهو رجل صالح يقود زاوية للمباركة، (تين أهود) وهي امرأة فقدت أهلها فغدت مغنية في ملهى (أسكرام بالاس).

وغيرها من الشّخصيات الّتي تبيّن مختلف التّناقضات الظّاهرة في المجتمع التّارقي الضآئع بين قبول التّطور والتّحضر والرّفض من خلال التمسّك بالعادات والتّقاليد والثّقافة .

[1] رشيد بوجدرة ،(تيممون)، الاختلاف ، الجزائر2018، ص 26.

الفصل الثاني

الأشكال التراثية الواردة في الرواية

المبحث الأوّل: المثل

يعرّف المثل بأنّه قول سائر ،مأثور يتميّز بخصائص ومقوّمات، ينقل من ورد فيه إلى من يحاكيه في المعنى أو المبنى، وهو ملازم لحياة الشّعوب ناقلاً لتجاربها، وقاسمًا مشتركًا لحياتها حافظا لمخزوناتها الثّقافية جيلاً بعد جيل وإن اِختلفت الأجناس والمشارِب وتباينت الجغرافيا.

وفي رواية منّا قيامة شتات الصّحراء للصديق حاج أحمد سنحاول اِستخراج مجمل الأمثال العربيّة والصّحراوية مع ذكر دواعي توظيفها .

جاءت الرّواية حُبْلَى بالأمثال العربيّة والصّحراوية ،والجدول الآتي هذه يبيّنها ويوضّح ودلالة ملفوظها:

الصفحة	المثل	معنى المثل ودلالته
08	يا لطيف !!	يطلق هذا المثل حين التّذمّر من أمور لا قبل للمرْء من لِدَرْئها. (الفضائح، الموت، المرض...) كل القرائن المدبوغة باتت تشي بمجيء عام (يا لطيف !!) وهو طلب اللّطف من الله تعالى لحال ساكني الصحراء ومواشيهم.
08	يوقى ..يوقى .. يا قروني .	يقال هذا المثل تحسّرًا لِمَا أصاب المراعي والمواشي من صيام السّماء وشحّها من المطر، وهو بلاغة تهكميّة لهلاك المال المقرون.
12	الصّراحة بلا كحل تمبكتو أو مسواك أروان.	مثلان يضربان في قول الحق البيّن الظاهر الذي لا يحتاج إلى زينة أو تنميق.
304	"وهي الحقيقة كما ترددها جدتّي لولا رحمها الله "	ف "البقرة هالكة لا محالة رغم قصر نظر الجدة المتناسل بين المسنّين خلال هذا العام القاحط" . فما عاد يفيد تزويق الحال و مَكيجته .

12	"يا ستار !!"	يطلق هذا المثل طلبا للّطف من الله لحظة الخطر أو بعد وقوعه، ومن السّاتر غير الله تعالى؟.
20	"صارت أثرًا بعد عين"	يقال هذا المثل في زوال الشّيء بعد أن كان موجودًا ويراه حتى ضعيف البصر. فمجد العائلات الصّحراوية كان يقاس بعدَدِ رؤوس المواشي والإبل، حتى وصل بهم الأمر إلى عدم التمكُّن من عَدِّ ما يملكون، غير أن الجفاف والقَحط أحاط بها فصارتِ أثرًا بعد عين.
21	"لكلّ مقام مقال"	ويضرب هذا المثل في الدّعوة إلى الملاءمة بين القول والموقف، وحين يكون الكلام من فضّة والسّكوت من ذهب، مع تخيّر الطّريقة لكُل مجلس ومكان. فأهل الصّحراء مقتصدون في الكلام.
25	"بوه .... بوه"	مثل صحراويّ يرَدِّده بنو حسّان في نفي الأشياء.
28	"للبيت ربّ يحميه"	مثل سائر عربيّ قيل في ساعة شدّة منذ خمسة عشر قرنا، قالها جدّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم حين واجه أبرهة الحبشي وهو في طريقه إلى مكة ليهدم الكعبة. وأصبح هذا المثل سائرا ويقصد به العمل بالأسباب وانتظار الفرج من المولى تعالى، وهو ما جعل أهل الصّحراء يجمَعون ما يسدّون به جوعهم إلى حين وصولهم إلى نقطة الحياة شمالاً.
38	"عام عزرائيل"	مثل يُقال حين توالي المصائب وكثرة الأموات وسط الأحياء في إشارة إلى توالي الوفيات. وظّفه الكاتب في إشارة منه إلى قِصر ذات اليد وانعدام الحيلة وتوالي النّوائب وعدم اِدّخار أيّ شيء يحفظ ماء الوجه ولو كان كفنًا (كما قال خالي بتّو الحكيم).ص 38 .

62	"لا يعرف حمّارة الجمرة إلاّ من اِكتوى بها"	ومعنى المثل: أنّه لا يحسّ بالذّل والهوان إلاَّ من جرّب مذاقهما، ولا يحسّ بالخطر إلا من ركبه وجرّب أهواله في إشارة من الكاتب لعظم ما لاقوه في معتقل (أنصار) طمَعًا في تحرير فلسطين.
64	" أبني واسكت "	وهو مثل توصيف وبلاغة لغويّة باهرة ، دارج في إشارة إلى عشوائية الّتعمير في المناطق الحدوديّة الصّحراوية للجزائر. فلا حسيب ولا رقيب ولا مانع يمنعك من البناء. واستعمل الكاتب الدّارجة هنا للتّهكم والسّخرية .
240/80	" نّا لله "	صارت هذه الكلمة مضرب المثل. وإن كانت مختصرة مقتبسة من قوله تعالى : (إنا لله وإنا إليه راجعون). في إشارة إلى الهلاك ،وما أتى عليه عام القحط والجفاف (منّا)، لعلّ أفضعها ليس الموت لأن الموت حقّ، بل لحالة الإستهجان التي لاقاها الصّحراويون من التّجار الأنانيّين الّذين يستعرضون عضلاتهم لبيعهم الكفن مقابل نزر قليل من الأرزّ في عام الضّياع. "نا لله " كما تردّد الجدّة (لولا) رحمها الله دائمًا ليس في التّوجّع فحسب إنما في البصم على الأمور المحقّقة أيضا".
84	"ونّي بيه " "ونّي بيك خيرت كبيرة والله "	مثل يردّده الحسّانيّون العرب حين يستملحون شخصًا، فلا تهمّ قبيلته، أهو كنتي أم بريوشي أم حسّاني. في إشارة إلى سواسيّة أهل الصحراء جميعًا همّهم واحِد وقضيتهم واحدة.
149	"استر ما ستر الله "	مثل يقال في ستر الفضائح وعدم تصويرها للعلن دَرْءًا لها، وإنّ ذكر هذه الفضيحة نَبْشٍ لفضائح أعمق .فمن الأخلاق ستر المؤمن لأخيه . فالغرفة الطّينية الصّغيرة غير عالية السّقف ضوء شمعة يرسل شعاعُهُ

		الضّعيف، الكهرباء غير موصولة هنا فالبناءات فوضوية. "استر ما ستر الله "، في إشارة أن هناك ما هو أمرّ وأخنَقُ وأفضع ممّا ذكر.
175	" لكل حدث حديث "	مثلٌ يقال في عدم استباق الأمور واستعجالها ، فلا يجب التّذمّر لأمر المستقبل، بل عليك عيش اللّحظة وعدم القلق والتّوتّر. فبعد الرّحلة الطّويلة إلى ليبيا بلد الحلم المنْشُودِ تَهالك مصروف الرّحلة ولم يبق إلاّ القليل، لكن لا يجب القلق مطلقًا. "فمن عادة الوافد الجديد أن يستضاف ثلاثة أيّام .... وبعدها لكلّ حدث حديث".
191	" في أزليتَنْ خَيَّرْ واختار .... الجميل ليك يا ولد بويا "	مثل يرَدِّدُه الصحّراويون في إشارة منهم إلى الخير الوفير (كما نردّد نحن: خَيّر واختار وادّي للدار)
271/197	" جعلنا شذر مذر "	وهو مثال عربيٌّ يضرب حال التّفرِقة والشّتات فـ: شتات أهل اللّئام، بمن فيهم بادي هم يتامى الوطن و سوافي الرّمل كما يقال ... "شعب رمتْه الأقدار بعيدًا بين بلدان الصّحراء الكبرى، ضحّوا بمضارب خيامهم ومراعيهم ... فرّقنا الفرانسيس بترسيم حدوده ... وجعلنا شذر مذر بين دول الجوار، النيجر، بوركينافاسو، موريتانيا، الجزائر، ليبيا". ص197 . ما جعل الصحراويين كرة تتقاذفها الظّروف بحثًا عن وطن يأويهم.
265/202/ 320/306	" سمكة أفريل "	صَار هذا المثل عيدًا للكذب يُحتفل به ويُراد به التّنكيت والسّخرية في مطاردة الوهم والسرّاب. فالمتحمّسون من العرب والتّوارق صرفوا أنظارهم عن المغامرة في بناء

		الوطن "لكونها سمكة إبريلية قذافية" وفي حديث السّجّان "مسح جغرافية وجهي وقال: هلاّ: شلونك أزواد ... أمازلت مؤمنًا بسمكة القذافي؟ "مدّدوا حبل الطّعم والطّمع، لعبوا على عامل الوقت وتمريره بعد اكتشافه سمكة أفريل". وكلّ هذا كذبة وطن مزعوم خاض الصّحراويون لأجله حربا بالوكالة تغرّبوا وماتوا لأجل مطاردة سراب الوطن.
214	"إننا قوم لا نسخّن البيضة "	وهو مثل يضرب في عدم المكوث على أمرٍ واحدٍ، أو للتبرّم وعدم الثبات في مكان بِاعتبار أن البيضة كي تفقس لا بدّ من حرارة تُولّدها أحضان الدّجاجة الأمّ، وعدم فقسها دليل على خروجها عنها وتبرُّمها منها، وهذا حال الصّحراويين الأزَواد فما إن يلبثوا في مكان حتى يغادروه. "محمول سوخا عن أهله يفيد تنقلهم من برج باجي مختار نحو حيّ _بني وسّكت) بأدرار، ألم أقل لكم، إننّا قوم لا نسخّن البيضة كما يقال؟" ص214 .
216	" كيت وكيت"	ضرب هذا المثل كناية عن القصّة والأحدوثة التي لا تنتهي. حكاية الوطن وأفيونه التي خدّر به القذافي رحمة الله عليه توارق الصّحراء وعَرَبها. فالقضية صارت تناقش في مخيّم بني وليد في كل وقت وعقب كل وجبة. "كثر الحديث بين التّوارق وتوالت(كيت وكيت) زاد النّقاش وتشعّبت الرّؤية وتعدّدت الآراء".

216	"حيص بيص "	مثل يطلق حين وقوع القوم في شدّة ومصاعب، وإختلاط الأمور عليهم وعدم إيجاد مَنْفَذٍ لها. وهو حال التّوارق في بحثهم عن محلّهم من الإعراب جرّاء الحرب إلى جانب القذّافي، بعد أن" نوَّمَ عقولنا بتلك المدوّخات القذافية التي أحدثت مفعولها خيالاً كبيرًا في نفوسنا، وعدنا إلى تدريباتنا".
226	"سيغسل منا يديه بالصابون من الأزواد"	عادة ما يطلق هذا المثل في حال التّبرّم بالشيء ونفض اليدين منه، ونفي الصّلة القطعيّة به.
308	"سيغسل يديه من قضيتنا ليس بالماء والصابون فقط، بل بالجافيل أيضا ".	وهو نفس ما ذهب إليه (بادي) لو أنّه عارض وانتفض وألّب أصحابه ضدّ مَسْعَى القذافي. "قلت لشريكي حلم وطن الأزواد إن غُرِّر بنا في المعارضة، وحشرنا فيها سيغسل القذافي يديه من قضيتنا".
241	"ليس من رأى كمن سمع ".	يُضرب هذا المثل في بيان البون بين من رأى الحدث عينًا وعَايشَهُ واقعًا، ومن يسمع عنه أو يقال ويُسُردَ له سَمَاعًا. وهو دليل على عدم الّتشابه وإنّما على الفرق البيّن، وهذا ما أورده وصوّره الكاتب في مجْرى الحديث عمّا خلّفه الجفاف إذ أتى على الأحياء تباعًا: "حدث ذات مرّة، ويشهد الله والله أكبر الشّاهدين أنّ النّاس فتروا عن حفر القبور ليس نكوصا عن الواجب أو فضيحة لا مبالاة، أبدًا لا، إنما عياءٌ وغلبةً ومشقّةً والله ،وليس من رأى كمن سمع، كما يقول إخواننا العرب الحسّان". وفعلاً إنّ نقل الحدث ليس كعيش الحدث في صورة واضحة لِما خلّفه الجفاف دَفنٌ بالجُملة والكاتب شاهد على كلّ هذه الأحداث .

243	"أن يخطئ القاضي في العفو خير له من أن يخطئ في العقوبة" .	مثل يتداوله الحسّانيون في استهجان فعْلٍ قد يكون فيه منفعة قلّة على استحباب آخر قد تكون فيه مضرّة للجميع. من باب ما أورده الكاتب عدم العدِّ الدّقيق لعدد الموتى الّذين أفناهم مرض (بيري بيري). المهمّ أنّ عددهم كبير جدّا . "المهم أنّ حساب النّقصان (الموتى) لم يك مهمًّا وهذا هو الأهمّ في المقام".
243	"بصم بالعشرة"	يقال هذا المثل في التّأكّد من صحّة الخبرِ المنقول أو معايشته الحقّة فبدل الحلف عوّضه البصم بالأصابع العشرة كدليل على قول الحق ولا مجال لتكذيبه. إذّ أنّ الكاتب سمع الإمام يقول: "ما رأيت في حياتي الإمامية، يوما لا ينقطع فيه الإمام عن صلاة الموتى، من بعدِ صلاة الصّبح حتى صلاة العشاء قالها بالتّارقية وسمعتها، وأبصم بالعشرة".
256/248	"الله يعمّر خيمة الجزائر"	مثل يردّده الصّحراويّون الأزواد المرتحلون اِعترافًا بجميل الجزائر وكَرَمها عليهم في عام الجفاف وقبله وبَعْدَه. "لم تقف الجزائر متفرّجَةً على جزارة الجفاف بهم، بل تحرّك فيها حنوّ الأبوّة والجورة، الذي استلهمته من ثورتها النوفمبرية، وصداها العالمي المدَوّي، فنهضت بواجبها الإنسانيَّ نحو أبْنَائها وجيرانها المنكوبين، والله يعمّر خيمة الجزائر، كما كان يُردّد الشيوخ والعجائز من أهل اللأزواد، بمن فيهم والدة بادي، تين البركة". "... سمعت عجوزًا حسانيّة، كانت تجلس خلفنا ترجم لي (بادي) قولها: يعطونا العافية.... ولا حول لنا ولا قوّة إلا جارتنا الجزائر، أيَعْمَرْها

		خيمة".
278	"دبّر راسك".	مثل دارج، يقوله أهل الشّمال كما في الجنوب ومناسبته أن تتدبّر شؤونَك وأن تحوّل الأزمة إلى هِمّة، تنصرّف كما تشاء مُلْتمِسًا الحلول الممكنة والمستحيلة للوصول والنّجاة . "لا شريعة هنا غير عبارة (دبّر راسك) فلم يكن لنا جهاز اتصال ميداني".
329/297	"الطّمّاع شو يقتلو يا بُوي غير الكذاب" .	وهذا المثل يطلق على شديد الطّمع بَعْدَ أن زُيّنت له الأمور بالكذب فانساق خلفها جشعا مصدِّقًا فأوردته المهالك . وهو أصدق تعبير كما يراه الكاتب في وصف حال المحاربين إلى جانب جماعة القذافي مصدِّقين سمكته الإبريليّة. "وأنت ماذا تفوز هنا؟ قل لي بربّك !! نجحت وظفرت بالأسر، السّلاسل، الحياة الضّنكة، ومن يدري نهايتك هنا ! أمازلت مصدِّقًا سمكة إبريل القذافي؟".
327	"الله يلعن عام الزّلط والتشومير"	وهو مثل دارج يطلق تنمّرًا وسخطًا وصفًا لواقع معيش مزر أو لماضٍ أليم فيه فقر وقلةٌ أو لتبدّله نعيمًا وجِنانًا أي تبدّل لحال أفضل. صراحة ... حالة هذا الشيخ تبدّلت" وجه وضاح حفّة سير، بازان وبوكار عالٍ، محفظة جلدّية بنيّة لامعة ومنتفخة تشي بصيْد وافر ... الله يلعن الزّلط والتشومير كما قال عربي تيليمساوي فضولي".
329	"من طولك يا ليل يا حبل القذافي"	ومعناه تتبّع الأثر وحبل الكذب السّراب بلا جدوى. "سألنا ذلك الفضولي بكلِّ صلافة، عن وعود القذافي، بصراحة أربكنا قليلاً والله ... تبسّم العابث بأحلام أهل بوكاره ابتسامة خبيثة، ونظر في بؤبؤة عيونهم اللاّمعة تحت ضوء مصباح خافت وقال: (من طولك يا ليل

		.... من طولك يا حبل القذافي).
331	"أسْكَيْ عليه ... وخيرت كبيرة بيه "	مثل يطلقه التّوارق والحسّانيون على من يستحسنون عمله أي مدحًا له ولفعله مثلما نقول نحن دارجة (سعدي بيك). وهو مَدْحُ لمضيفهم (أمْنوُكَال) واستحباب لكرمه الحاتمي معهم. "في الصّباح الباكر، شربنا حليب النّوق بعد فطام دام سنوات، وختمنا حفلة الفطور الصّباحي بالشّاي، ودّعنا الأمنوكال الوقور، وطلب من أحد المقرّبين أن يشيّعنا لمحطة السّفر بِاتجاه النيجر، آخر ما ألحّ عليه ضرورة رجوعنا عنده ... المهم (أشكيْ عليه ... وخيرت كبيره بيه)" "كما يحلُو للزّعيم (غلواته) نطق عبارة الرّضوان على من اِشتهى فعله وعمله".
333	"العهدة على الرّاوي"	وهو مثل يُتَداول في نقل الحديث على لسان الغير أمانة أي على ذمّة الرّاوي ومسؤوليته. فعدم حضور الواقعة يوجب سردها كما قالها ناقلها من غير تحريف. "بعدها بدأ مهرّبنا في تسابيح أوراد تبريراته لرفع سقف ثمن الرّحلة من أنّ مسار طريق التهريب مقطوع وخطر فالطّبيعة قاسية جدًا مع امتداد أيادي قطّاع الطرق لِحَلْبِه، الذين يرفع لهم ثمن إخلاء السّبيل في كل مرّة حسب زعمه والعهدة على الراوي كما يقال".
357	"عجزت أمام الأقدار والمكتوب "	مثل يقال عندما تريد شيئًا وتفعل المستحيل لأجله ،لكنه لا يحقق، ويسعى الغير لعدم تمكين الأمر، وفي الأخير لا يكون لك إلا ما قُدِّرَ لك وما خَطّه الله تعالى نصيبًا لك.

		كما فعلت زوجة الخال(تين الخير) ومحاولتها إبعاد (هكتا) عن (بادي) لكن يأبى القدر إلاّ أن يكتب ويتمّ لقاءهما معًا. "سألت عن أمها، قالت لي جوابًا غير متوقّع، إنّ أمّها تبلّغني السلّام وساست ما برأسها من ظلامتي، بعد أن عجزت أمام الأقدار والمكتوب، كما قالت بالحرف النّاطق والله".

من الملاحظ لما قدّمناه في هذا الجدول وَفْرَةُ وكثرة اِستعمال المثل الشّعبي وهو دليل على سعة ثقافة الكاتب، وتشبّعه بالثّقافة الشّعبية العربيّة المستوحاة من البيئة الصّحراويّة التّواتية والحسّانية والّتي ترسّخت في ذهنه وجعلها حاضرة بقوّة في روايته، وهي أمثال تصوّر واقع الحياة والمواقف الاجتماعية والحالات النّفسية التي تعيشها شخصيات الرّواية في الصّحراء الكبرى وحتى خارجها كنموذج للأصالة والاعتزاز وما ميّزها هنا حضورها بمختلف اللّهجات، وإن كانت تعبّر عن وجدان وخبرات ومواقف وتجارب الإنسان الصّحراوي.

المبحث الثاني: العادات والتقاليد

تتميّزُ المجتمعات بعادات وتقاليد وأعراف متوارَثة فَتُحْتَرم إرضاءً للسّلف، ومن يخالفها مرتكب للمحظُور فَيُنْبذ من لدن المجتمع أو يعاقب نظير فعله ،والعادات هي أساليب متكرِّرة تُكسب اِجتماعيًا وتُتعلم اِجتماعيا وتمارس اِجتماعيًّا وتُتوارث اِجتماعيًّا.[1]

ترتبط بالمجتمع من حيث الزّمانُ والمكان والنّوع والدّين ،والنّظرة إلى الحياة، تمسّ الحياة العامّة في جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسّياسيّة والثّقافية .

أمّا التّقاليد فهي سلوك فرديّ تبنّته الجماعة وتوارثته. "وهي مجموعة من القواعد والسّلوكات التي تخصّ طبقة معيّنة أو ترتبط ببيئة محدودة النّطاق".[2]

وعليه فإنّ العادات ظاهرة اِجتماعية تعكس حياة الجماعة في تصرّفاتها، أمّا التّقاليد فهي محاكاة سّلوكات السّلف تُتوارث وتُنقل جيلا بعد جيل.

وقد جرى توظيف العادات والتّقاليد في الرّواية العربيّة والجزائريّة خُصوصًا، أحيانًا سياقًا أملاه منطق الحكي، وأحيانًا أخرى تعريفًا بثقافة الجماعة وإخراجها من المحلية إلى العالمية.

وهذا ما نتلَمّسُه في رواية (مناّ قيامة شتات الصّحراء) إذ وظف الحاج أحمد الصديق العادات والتّقاليد بشكل لافت في متنه ونُورد مثال ذلك كالآتي:

1. الأدب والأخلاق والشّجاعة وحبّ الوطن:

يتميّز أهل الصّحراء بالأدب والأخلاق سواء في أيام التّرف أو في أيام القحط والجدب وشظف العيش وقلتّه، فالشّجاعة صفة تميّزهم خاصة في المواقف الصّعبة، ويظهر ذلك جليّا في أنّ "الكثيرين من التّوارق

[1] سامية حسن الساعاتي، السحر والمجتمع، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص 155.

[2] لزهر مساعدية ، في مفهوم الثقافة وبعض مكوناتها (العادات، التقاليد، الأعراف)، مجلة الذاكرة، مخبر التراث الأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، عدد 9، جوان 2017، ميلة، الجزائر، ص 37.

والعرب الحسّان فد آثَروا شقاوة البقاء في رماد المِحْرقة، ليس خوفًا من المغامرة مآل الترِّحال أبدا... لقد تواتر في ترانيم قوافل الصّحراء، سرد مناقب شجاعة التّوارق بلا بهتان، وقصّ بطولات العرب الجيران بلا إذعان".[1]

بل تعدّت بطولاتهم خارج حدود الصَّحراء وامتدّت إلى معسكرات بني وليد، بل أبعد من ذلك حتى لبنان لتحرير فلسطين.

"الإفوغاسي كان بجانبي، بَدَا واثقًا أكثر منًّا، بل حتى من الأشقّاء العربّ، تزوّدت منه بشحنات قويّة من شجاعة إفوغاسي، قال لي لحظتها: الموت واحدة ... هنا أو في جبال كيدال!! لمس منّي برودة بعدما شاف عرقًا متصبِّبًا على سُحنَتي، فتهكّم تبسّمًا قلت في نفسي ساخرًا: ما هذا الجبن يا غسمان؟ ألستَ إدْنانيًّا؟".[2]

وهي بُطُولة تحدّث عنها ابن بطّوطة حسب كلام (غلواثة) "هم قبيلة من البربر لا تسير القوافل إلاّ في خفارتهم، والمرأة عندهم أعظم شأنًا من الرّجل".[3]

وحتى إبن خلدون تحدّث عن بطولاتهم وشجاعتهم "هم أوفر قبائل البربر يضعون لثامًا على وجوههم، تميّزًا لهم عن غيرهم من الأمم ..."[4] فهم "أسياد الصّحراء"[5] وليست البطولة وحدها ما يتميّز به الصّحراويّون فحسب، فحتى أخلاقهم مَعدَنُ نادر وعُملة قليلة الوجود لو كان ذلك مع حيواناتهم، فلهم معها تاريخ مُذَلّل كما يرّدُد (بادي) "إنّ بقرة أمّه مبروكة الإسم، آية في البرِّ بصاحبتها تأتي طائعة من بين أخواتها .. تأتي طائعة من بين أخواتها كلّ ضحى عند حِجر أمة بالخيمة، فَتُفرجُ رجليها الخلفيتين لتكشف عن ضِرْعِها العامر إيذانًا لقبضة راحة والدته أن تدرّه"[6] ودَأْبُ الرّحالة الصّحراويين على الرِّحلة ليس نقصًا في حبّ الوطن، فحبّ

[1] الصديق حاج أحمد: منّا قيامة شتات الصّحراء، الدواية للنشر والتوزيع والطبع، الجزائر، ط2، 2023، ص 25.

[2] الصديق حاج أحمد: منّا قيامة شتات الصّحراء، ص 73.

[3] المصدر نفسه، ص 75.

[4] المصدر نفسه، ص 76.

[5] المصدر نفسه، ص 11.

[6] المصر نفسه، ص 197.

الوطن والرّحلة جِبِلّة وفطرة تسري في دمهم "لعلّ تشبّث القوم بأطلال خيامهم المهترئة ومراعيهم الهشّة في أتون رماد المُلمّة آئب لسريان دم حبّ الصّحراء في عروقهم وهذا هو المضَنُونُ".

وارتحالهم إنّما كان دومًا قهرًا فَليسَ "أشَدَّ على المرءِ من مغادرة مضارب طفولته قهرًا لقول (بادي)".[1]

ومن الأخلاق النّوادر ما جرى بمعتقل أنصار من خصام هادئ حول أحقيّة اللّبسة اليوميّة لشاش بوكار، إذ كانوا يتداولون على لبسه تبرّكا.

"وكانت الدّورة المعهودة بيننا أن ينزل (أخمادو) مكان (غلواتة) فنازعه (أِلّي) بأولويته منه، حتى تدخّل القاضي الحساني العدل. وأعطى الحق ل (أخمادو). لكنّ هذا الأخير تسامح في حقّه، وأعطى الخيط الجليل للفوغاسي المُحالي، راضيا بلا غِلّ أو ضغينة"[2] ومن الأخلاق أيضًا صفة الكرم الحاتمي رغم الفاقة والجفاف الّذي أتى على الإنسان قبل الحيوان والمُؤَنُ في تناقص مستمرّ والرّحلة لا تزال طويلة.

"الجو شبه بارد قليلاً في الخارج، مواويل إبليس، و وتريات أحزانه تبدو أكثر صخبًا ... العشاء هذه اللّيلة جماعيّ، نفدت معظم مؤن العائلات فتكَرّم التّجار التّواتيّون بحفلة العشاء"[3] فالضّيف عندهم يُستضاف ثلاثة أيام بلا مقابل .

ومن العادات الحسنة في أخلاق الصّحراويّين الرّحّالة الرأفة بالمسنّين والإعتناء بالصّاحب المريض أثناء الرّحلة مهما كان الزّاد قليلا والطّريق طويلا .

"بشّرنا المريض نفسه، بإمكانية مواصلة المسير، تهلّلت وجوه الجميع بلا إستثناء، وكيف لا؟ والمريض رفيق والرّفيق لا يُتخلّى عنه في السّفر ولو بإبطال أقصى المغانم كما قال (سيّد أخمد التّوجي)".[4]

2. الطّعام التقليدي الصّحراوي:

---

[1] المصدر نفسه، ص 27.

[2] الصديق حاج أحمد: منّا قيامة شتات الصّحراء، ص 93.

[3] المصدر نفسه، ص 48.

[4] المصدر نفسه، ص 175.

يوحي العنوان بمدى الأهوال الّتي خلّفها الجفاف وماذا بعد الجفاف غير قحط وشتات وترحال وجوع وموت ؟ فعن أيّ نوع من الأطعمة نتحدث وسط هذا القفر الموحش؟

حين يسْتَبدّ بك الجوع فإنك تبحث في الأرض عمّا يَسُدُّ رَمَقَك وتخترع أطباقًا دون تسجيل براءات اِختراعها.

"أقلّ ما يقال عن يُبُوسة هذا الحول، ظهورا مخترعات أطباق غريبة لم تدُر في خلْدِ (آل عثمان) طبْخُها أو ظنّوا أنّهم راجعون إليها".[1]

فقد أوصلتهم الحاجة إلى اِبتكار أطباق جديدة، "عمدُوا إلى (أَقَمْبَرْ) و (جَمْبَا) وهي جلود البقر والإبل تُحرق وتُسحق ثمّ تُتّخذ طبيخ طعام".[2]

كان أمرًا لابُد منه، فما باليد حيلة حتى وصل الأمر إلى أن "استعطفنا النّبات والشّجر الدّائر بنا كَـ (مَنَدْغَا) و (تواجيت) و (أم المَرَكْبَة) و (الكحيل) وهي زروع وحبوب أشجار شائكة أغلبها مرّ"[3] ودوام الحال من المحال و (لي خلق ما يضيّع) على قول مثلنا الدّارج، فالله لطيف بعباده، فخلال الرّحلة يُستضاف (بادي) وأهله بوادي (تاغليت) وتكاد تكون هذه اللّيلة أطيب اللّيالي لقول (بادي): "صَلّيْنَا وفطرنا خفيفًا حساءً دافئًا، قال التّاجر التّواتي الخاج غبد القادر التينوري لوالدي وخالي :إن هذه الحريرة الصّباحيّة اللّذيذة أصلها من قمح توات"[4]

ومن الأطعمة أيضًا كِسْرَة(التّاقلّة) وهي كسرة من دقيق يعجن. "قال لنا الكلغالغي وهو يواصل عجن دقيقه: ستأكلون كسرة (التاقلة) اللّذيذة، مَسك عودًا وسوّى شبه حفرة في الرّماد، رمى العجينة الكوّرة في تلك

[1] الصديق حاج أحمد: منّا قيامة شتات الصّحراء، ص 15.

[2] المصدر نفسه، ص 16–17.

[3] المصدر نفسه، ص 17.

[4] المصدر نفسه، ص 44.

الرّملة السّاخنة طبطب عليها براحة يده اليمنى، حتى استحالت دائرة كبيرة، أعاد الرّماد عليها ثانية"[1]. وتناول كسرة(التّاقلّة) مع الشّاي هو من أيام المجد والرّخاء وسط هذا الجدب و ما خلفه.

ومن الأطباق المذكورة أيضًا طبق (تَلْبَقَّة) وهو "أكلة شعبيّة راقية في معجم مطعمنا التّارقي ... سنين ومنين لم نذق هذه الوجبة الشّعبية، أعادنا مذاقها مطارح (إنّوكر) قبل قيامة منّا"[2].

3. الشّاي:

عندما نقول كلمة الصّحراء يتبادر إلى الأذهان شبح الجلسات وسلطان القعدات؛ (الشّاي الصّحراوي)، فلا تكاد تخلو اِجتماعاتهم منه وقد أخذ النّصيب الأكبر من جميع الأكلات ذكرًا في رواية (منّا قيامة شتات الصّحراء) فرغم قلّة العيش إلاّ أنّ العائلات الصّحراوية تحتفظ بصُرّة الشّاي "في غمرة هذه القيامة وجَلَبَتِها على (تين البركة) تذكّرت المسكينة صُرّة الشّاي، وما يكفي تحليتها سكّرًا، اِحتاطت بهما للمناسبات في مكان سُبات عن الأنظار، قبل تسعة شهور، ونسيتها في متاهة هذه الأهوال وما سبقها من اِرهاصات منذرة"[3].

وقد تستغني عنه لكنه ليس اِستغناء بمض الإرادة بل بسبب الفاقة "أسابيع مرّت دون أن تحتفل الخيمة بتربيعة الشّاي، العثور على عشبة السّعادة مع عرسان بلّور السّكر، أُعتُبر غنيمة عظيمة في مثل هذه النّوازل البائسة"[4].

وإن كان الشّاي طقسا مُبَجّلا يُتّخَذُ أسْبِرينًا لنسيان آثار عجلات الزّمن القاهرة وسط الحيْرة العميقة التي انتابت (بادي) كيف يخبر الجدّة بعقد العزم على الرّحيل، وكيف سيفسد مفعول المُخَدّر العظيم الّذي تناولته

[1] المصدر نفسه ، ص 143.

[2] المصدر نفسه، ص 339.

[3] منا قيامة شتات الصحراء، ص 20.

[4] المصدر نفسه، ص 14

الجدّة اِستجداءً لنسيان ما ألَمّ بها من موت بقرتها الحنون، كونها حظيت بدوخة الشّاي الّتي أنستها آخر حلقات المسلسل الدّرامي للبقرة"[1].

إنّه فرصة لاِستحضار ذكريات الماضي الجميل وأفيون النّسيان "لا همّ لها سوى اِدّخار ما يمكن من لحظات تذكار هذا المخدّر الشّروب، فيما راح اِبنه وحماته يصطنعان فرحة الجلسة، ويُضمران فاجعة الهالكة"[2].

الشّاي فاكهة الصّحراء وتناوله طقس من طقوسها يبعث في أهلها النشوة والفرحة رغم النّكد "أضيف لهذه الجلسة طقس الشّاي المبجّل ،لن أصف جوقة الفرحة التي تزوّقت بها وجوه الحاضرين رغم الأحزان رغم صيام بعضهم عنه منذ أسابيع، خالي (بتّو)، أعرف عنه وعن أبي عزّة النّفس، لكنّهما هذه المرّة عجزا عن غمّ بهجة نفسيْها لخبّة الأتاي المعظّم"[3].

ومن ظفر بهذا الأفيون فكأنّي حيزت له خيرات الدّنيا كلّها. "لا شيء يعدل آنية الحليب برغوتها الطّازجة من الضّرع، وطقس تربيعة شراب الشّاي بجلسة الخيمة، ومواشٍ ترعى حولها عند إنسان الصّحراء"[4].

المهمّ أنّ وصفة الشّاي أو طقسه سنّة مؤكّدة في أعراف أهل الصّحراء.

المبحث الثالث: اللّباس

واللّباس هو ما يَستُر الإنسان به جَسَده اِتّقاء الحرّ والقرّ، وقد يختلف لباس أهل المدينة عن لباس أهل الرّيف، كما يختلف لباس أهل الشّمال عن لباس أهل الجنوب حسب عادات وتقاليد كلّ منطقة.

[1] المصدر نفسه ، ص 15

[2] المصدر نفسه، ص 20.

[3] منا قيامة شتات الصحراء، ص 49.

[4] المصدر نفسه، ص 120.

فرغم العِوَز وقِصَر ذات اليد، وعام عزرائيل كما يرّد (بادي) إلا أنّ أهل الصّحراء تحرصون على تكفين موتاهم بأبهى كفن كيف لا والسِّتر واجب في الحياة فما بالك عند الموت؛ فـ "لا شيء يَدّخره النّبيل، كالعِرْض والسّتر والكفنُ منها ... كما قال خالي(بتّو) الحكيم"[1].

والمرأة لا بُدّ أن تستتر حتى وإن بدت كبيرة السّن، حتى وإن باعت أغلى ما عندها طلبًا لسِتر نفسها: "والدي وخالي أقنعا أمّي ببيع الأثغى، رغم صداعها المقرف ... فوافقت مُكرهَة على بَيعها مقابل قناع أسْوَد توشحت به حزنًا على ثلاثيّتها المفقودة"[2].

ومن الألبسة المدَلّلة عند أهل الصّحراء (شاش كِتّان بوكار)، "أي نعم بوكار ... أفخم شيشان الصّحراء المجلوبة من بلاد السّنيغال"[3].

فهم يعظّمونه بِاعتباره يمثّل أصالة الصّحراء حتى في أيام الاعتقال بأنصار عُدَّ من الذّاكرة الصّحراوية الجماعيّة: "نحن العجم نجد فيه ذاتنا الصّحراوية شغفه الدّائم لجلالة البازان شيخ الشّيشان مولانا بوكار"[4].

ولا شيء أفضل هديّة لعزيز سوى هذا النّفيس "أين كانت أمّه (تين البركة) الشّمنماسيّة، المقيمة ببرج باجي مختار لا تتأخّر في إرسال بعض الهدايا لِوَلَدِها، كعباءة البازان، وقامات أذرع واقية من سيّد العمامات بوكار مع القوافل المهاجرين إلى بلاد القذّافي حينذاك"[5].

وعباءة البازان هي لباس تقليدي صّحراوي فخم يُلبس في الأعياد والأعراس وغيرها من المناسبات، ولا يتحرّج الصّحراويون من ارتدائه حتى خارج الصّحراء "تبدو (أوباري) لأوّل وهلة، دشرة تارقيّة بِامتياز، عباءات البازان ولثام وشيشان بوكار"[1].

---

[1] المصدر نفسه، ص 38.

[2] المصدر نفسه، ص 38.

[3] الصديق حاج أحمد . منا قيامة شتات الصحراء ، ص 52.

[4] المصدر نفسه، ص 61.

[5] المصدر نفسه، ص 53.

وهو تقليد لا يحيد عنه الصّحراوي أُسوة بمن قبله "أمّا القبّعاتُ ففضّلنا شيشاننا البوكاريّة عليها أسْوَةً بمن قبلنا"[2].

وارتداءُ البازان والشّاش يعتبران من العادات والتّقاليد لرجل الصّحراء، وهما لباس التّبختر والاعتداد بالأصل "الرّجال يتبخترون بعباءاتهم البازانية، مزهوّون بشيشانهم البوكارية"[3].

وحتّى النّساء هناك ترتدين الملحفات وهو لباس عبارة عن قطعة ثوب واحدة طويلة عريض يلفّ حول البدن، ويمنح هذا اللّباس أناقة وجمالاً للمرأة الصّحراوية ما يجعلها مميّزة عن غيرها "والنّساء بادنات كالعادة يسبحن مع لحومهنّ الرجّراجة في ملحفات (تاسغْنسْت)"[4].

ومن الملاحظ أن الرّوائي قد اِقتصد في ذكر اللّباس لأن المقام هنا هو الحديث عن الجفاف وما خلّفه من تبعات أَغْنَتْه عن الإسراف في الحديث عن أنواع لباس أهل الصّحراء ، وإن كان هذا وافٍ و كاف إذ عرّفنا بألبستهم التّقليدية واِعتدادهم بها أشدّ الاعتداد وأسْهم في تطوّر الأحداث خاصة والمتن الحكائي عَامّةً.

المبحث الرابع: المهن والحرف

لا يخلو أي مجتمع من مهنة أو حرفة تضمنان لصاحبها كسب القوت وصون الكرامة من ذُل السّؤال.

والمجتمع الصّحراوي كغيره من المجتمعات تُميِّزُه مهن وحرف معروفة في الوسط الصّحراوي وإن كانت قديمة كالرّعي أو مستحدثة أملَتها الطّبيعة الصّحراوية كواقع مرّ كالتهريب، وقد حفلت رواية (منّا قيامة شتات الصّحراء) بجملة من المهن مارسها الصّحراويّون في الصّحراء أو خارجها ونوردها كالآتي:

الصّناعات الحرفيّة التّقليدية من جلود الحيوانات، مُنَمّقة ومزخرفة بأنامل أصحابها "أمثلة عديدة دارت برأس عثمان، وهو يداعب الوسادة الجلدية المزخرفة"[1].

---

[1] المصدر نفسه، ص 178.

[2] المصدر نفسه، ص 213.

[3] المصدر نفسه، ص 146.

[4] منا قيامة شتات الصحراء ، ص 146.

ولا عجب إن بَدت هذه الصناعات تنمّ عن ذوق رفيع وإتقان قل نظيره لحرفيِّي الصّحراء عامّة الجزائرية أو النيجيريّة "عرفنا لاحقًا أنّه من ساكنة (أغادزْ) شمال النّيجر يحمل مفتاح سيارته بيده، المزيّن بسيور جلديّة حمراء من صناعة المعلمين"[2].

في إشارة إلى وَلَعِ أهل الصّحراء عامّة بالحرفة وإتقانها لأنّها تعبِّر عن أصالة متَوارَثة وماركة مسجّلة بإسم الصّحراء قاطِبَةً.

ومن الحرف المذكورة حرفة التّصيّد والصّعلكة يمتهنها أناس مغسولون من الإنسانيّة "فَيشترون المواشي بثمن بخس، يعلفونها بمخزون سابق عندهم من العشب اليابس، ويبيعونها في أسواق غاو"[3].

وإن كان هذا يمُسّ فئة قليلة ضعيفة النّفس تستثمر في مآسي غيرها دون رحمة ولا شفقة تزيد المأساة طينًا وبلّة.

ومن المهن أيضا ممارسة الرّعي حين كانت الأعوام رحيمة بأهلها وأنعامهم لا تعدّ ولا تحصى إلى أن جاء عام عزرائيل وقلّ فيه المال واندثر، وصاروا يحِنُّون لصوت ثغاء المواشي ورغاء الإبل، بل صاروا رعاة لقطعان غيرهم في غربة ليبيا: "توزّعنا في حصص العمل إلى فرقين أنا (وسوخا) و(أخمنو) ... نفترِقُ صباحًا يذهب كل منّا بقطيعه يرعى ... ونعود مساء فنلتقي في صالة كبيرة"[4].

ومن الوظائف الممتهنة يمكن أن نطلق عليها وظائف حدوديّة تمارس خِفيَةً عن أعين حرّاس الحدود والّتي اِتخذها الصّحراويون مَعْينًا لا يَنْضبُ إن غَفَل عنه هؤلاء الحراس ومنها: (التّهريب والترابالدو والفرود).

---

[1] المصدر نفسه، ص 13.

[2] المصدر نفسه، ص 331.

[3] منّا قيامة شتات الصحراء، ص 38.

[4] المصدر نفسه، ص 189.

فبعد أن ضاقت السّبل بأهل الصّحراء جرَّاء جفاف السّماء ظهرت هذه الحرف الجديدة كطريقة مختصرة لِوَسْم الدَّراهم كما تقول العرب ."ولا سبيل آخر غير تراباندو التّهريب أو الفرود"[1] مستعملين السيارات اليابانية الّتي تأكل الطّريق أكلاً في وقت وجيز. و "ماذا كنت ستقول يا (غلواتة) وأنت ترى حرفتك المفضّلة هنا، حيث صناعة تعليب البشر وتهريبهم، والوقود وأكياس الأرز والمالبورو، ومن يدري المخدّرات والسّلاح؟"[2].

وأمام هذه الحرف الممنوعة تظهر حرف موازية لها ومنها الدّليل، شوّاف الصّحراء، العارف بطريقها الآمن والخطر فحتّى هو يُعدّ متصيّدًا يطلب أجرًا خياليًّا لفك شيفرات الصّحراء.

"مع الغروب جاءنا شيخُ الطّريق يسعى، ستيّنيٌّ ملثّم أسمرُ قليلاً ... تارقي جانتيٌّ، راجت تجارته رواجًا كبيرًا، إبّان موضة ليبيا وفردوس أحلامها عند أهل أزوادنا المساكين"[3].

وأهل الصّحراء عامّة وإن اِستطاب عيشهم فهو مجبولون على حبّ التّرحال "هكذا حالنا .. لو غُمِّسنا في النّعم، فلا نتردّدُ في القول أنّنا غير باقين"[4].

وكأنّ الشّقاء مُستطابٌ لهم وحياة الميزيرية والتّهمبير والتّزوفير مكتوبةٌ على جباههم فيهاجرون إلى الدّول المجاورة كليبيا والنيجر ... ومنه العمل في المخابز "العمل في المخابز يا سادتي شاقّ، لكنّه لا يحتاج مهارةً كبيرة حتى تتفاهم مع غُبار الدّقيق ... المهمّ أن تصبر على حرارة الأفران وهذا أمرٌ غير مهمّ في الشتاء"[5].

---

[1] المصدر نفسه، ص 124.

[2] المصدر نفسه، ص 342.

[3] قيامة شتات الصحراء ، ص 159.

[4] المصدر نفسه، ص 190.

[5] منّا قيامة شتات الصّحراء، ص 179.

ومن أعمال التّهمبير كما يقول الكاتب بناء البيوت لأجل الحصول على وثائق الهوية في (رقّان) "لاهَمَّ للطّارئين الجدد سوى الحصول على زريبة أوليّةٍ، ومنها خلط التّراب الطّيني بالماء في قوالب وبعد جفافه يبنى به بيت صغير، مسقّفٌ باللّوح ومن ثمّة الطّمع في الوثائق الثّبوتيّة للتجذّر والنّبات على هذه الأرض الجديدة"[1].

فانخرط أهل الصّحراء في رحلتهم إلى (رقّان) في بناء البيوت لهم ولغيرهم لقاء الحصول على أوراق تثبت جزائريّتهم للتّخلص من حواجز الأمن وليس هذا فحسب فحتى في أعمال الزّراعة: "نشطت بين أهل الصّحراء دعاية عن وجود مزرعة نشطة (بِتُواتْ) لحرث سكناتهم بأثمان رخيصة ... العثور على مزارع مماثلة جوار جبال (هقّار) تصلح لبذر نباتهم نواحي حي الشومارة ..."[2].

يصوِّر الكاتب المهن الصّحراوية مقرونَةً بواقع الصّحراء، وهي مهن شاقّة فرضتها البيئة الصّحراوية القفر، زادت المتن الحكائي جمالاً ورَوْنَقًا دون تكلف.

المبحث الخامس: المعتقدات الشّعبيّة والدّينية

اِرتبطت المعتقدات الشّعبيّة في البداية بالأساطير فليس من السّهل تعاطي المقدّس في الأدب، خاصّة في تراثنا العربي، وهذا أمر راجع إلى طبيعة مقدّساتنا وتبِعَات ذلك، "فتصبح المصادرة والاتّهام بالكفر والجهل بطبيعة النّص الروائي، واقتلاع الملفوظات من سياقها الرّوائي أمورًا متَوقّعَةً" .[3]

ويُقصد بها "الأمشاج المترسّبة في الذّهنيّة الشّعبية فتعتقد النّفع والضّرّ في الموجودات الجامدة وفي بركة الأولياء والأضرحة، وفي الجن والعفاريت والشّياطين والأرواح الطّبيعية، بالإضافة إلى السّحر والطّلاسم والشّعوذة والتنبّؤ بالمستقبل ومحاولة اِستطلاع الغيب"[4].

---

[1] المصدر نفسه، ص 260.

[2] المصدر نفسه، ص 262-263.

[3] بهاء الدين محمد يزيد ، زمن الرواية العربية ، دط ، ص 36.

[4] محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، د ط، ص 137.

وبيئة الكاتب الصّديق حاج أحمد في (منّا قيامة شتات الصّحراء) بيئة محافظة لا تلقي بالاً لمثل هذه المعتقدات الشّعبية.

1. الكهانة أو التّنبّؤ:

وهو اِستشراف المستقبل والاطّلاع على أمور الغيبيّات، وهو أمر قديم منذ الأزل لدى الرّومان والإغريق، وعرفه العرب قبل الإسلام واستمرّ إلى ما بعده، بالرّغم من محاربة الإسلام لهذا الأمر. ومن أمثلة ذلك في الرّواية نذكر:

"كل القرائن المدْبُوغة لمخيّلة إنسان الصّحراء باتت تشي بمجيء عام (يا لطيف !!)"[1].

وإن كان هذا تّنبؤًا منطقيا ألفه أهل الصّحراء من خلال أسباب تسبقه، فَشُحُّ السّماء واحتشامُها يوحي بعام القحط عام لن ينجُوَ منه إنسان ولا حيوان، ممّا ينذر بالرّحيل.

وقد تكهّن المشعوذون بحدوث مثل هذا الأمر يومًا مَا وإن طال فسيأتي لا محلة، ولا بُدّ أن نُبوءتهم قد تحققت وصدق من قال: كذب المنجمون ولو صدقوا.

"إنّ أولئك الكهنة، نبّهوا النّاس إلى مصائر مجهولة، مُذْ لاحظوا تفشي الأمراض بالمواشي"[2].

غير أنّ هناك تنبّؤًا محدودًا بهدف توخي الحيطة والحذر فالمستقبل لا يُوتمن في قول الكاتب: "دائمًا تجدُنا نسخر–نحن الشباب التارقي أو العربي–من تفكير واحتياط الآباء ونحسبه بادئا هزلا ،حتّى يظهر لنا وبجلاء حسن تقديرهم ورؤيتهم، ونكتشف في الآن ذاته، فداحتنا واستهزاءنا من رؤيتهم التي حَسِبْناها عوْراء سامحنا الله"[3].

[1] الصديق حاج أحمد. منّا قيامة شتات الصّحراء ، ص 8.

[2] منّا قيامة شتات الصّحراء، ص 17.

[3] المصدر نفسه، ص 240.

وهذا في مجرى الحديث عن الاقتطاع من ثمن الجمال الرّخيصة غلاء لشراء الكفن وتقليل أكياس الأرز لأنّ الأولى إكرام الميت وتكفينه بعد غسله "كما كانت تردّد الحدّة (لولة) "[1].

وقد تُمتهن الكهانة كحرفة لملء الجيوب، ويُشَدّ الرّحال إلى أصحابها من كل حدب وصوب فيغتني هؤلاء ويظهر عليهم أثر النعمة "صراحة هذا الشيخ الحجّاب تبدّلت حالته ،بنية لامعة ووجه وضّاح، خفّة سَيرِ، بازان وبوركار غالٍ، محفظة جلدية بنية لامعة ومنتفخة، تشي بصيد وافر من كتابة الحروز وتعاويذ الجنِّ والعين والعقم"[2].

وقد يكون التّنبّؤ تفسير حلم أو رؤية كرؤية (بادي) لعلم دولة الأزواد يرفرف على جبال كيدال "فاماميستي تارقي من ثوّار بكيدال، عرف بقراءة الكفّ والمنام، سُرِدت له تفاصيل رؤيا (بادي)"[3].

فأنبأه: لا يزال حلم الوطن الأزوادي يتأرجح على سنام إبله وسيعيشُ في المجهول.

2. الأولياء الصّالحون:

نشأ هذا الإعتقاد نظرًا للمكانة التي أولاها الإسلام للعلماء والصّالحين، والأنبياء قبلهم، لكن الأمر تعدّاه إلى القداسة والغلّو والإعتقاد المنشوب بالبركة الزّائفة.

ومن أمثلة ذلك في الرّواية :

التّبرّك بأسماء الأجداد واعتقاد ذلك من أسباب البركة وجلب الحظّ ودرء العَثْرَة والتّمَتّع بحياة التّرف المديد، (فتين البركة) إسم يُتبرك به، وهي مباركة وأشياؤها كذلك، كبقرتها المدّلّلة التي تأتيها طائعة لحلبها، وليس البركة في الأسماء والمسمّيات فحسب فقد تكون الأرض مباركةً إعتقادًا، فتشمل هذه البركات أصحابها "يقول ليفاماميست الحسّان بحي الطّابق بتندوف أن هؤلاء الشّرفاء، مبجّلون بهذه النّواحي من الصّحراء

[1] المصدر نفسه، ص 240.

[2] المصدر نفسه، ص 326.

[3] المصدر نفسه، ص 374.

الكبرى، تأتيهم الهبات والعطايا بلا طلب، لذلك ظلّت مخازنهم شبه ملآنة حتى في أيّام هذا العام المعطوب"[1].

فهذا العام (الشّين) أتى على البشر قبل الحيوان وصارت الأيّام مليئة بالفقد، لكن وهم على هذه الأرض (حي طابق تيندوف) تجَلّت "بركات شرفاء (آل الرّقاني) في هذه اللّيلة المباركة، لا موتى من البشر ولا من الحيوان"[2].

وحتى الخليل المساند لخليله في الأزمات قد يجعل منه وَليًّا صالحًا، بل أكثر من ذلك بل متّصوِّفًا بدرجة قطب أو مريد.

فالرّفيق (غلواتة) كان نعم الصّديق في معتقل (أنصار)، كان معتزًا بأصالة لباسه "شغفه الدّائم معنا لجلاله البازان وشيخ الشيشان مولانا بوكار ... وحنين قعدة الشّاي مع غرام حليب النّوق طبعًا، كل هذا وذاك بكل صراحة جعله عملةً صعبة في بورصة هذه الظّروف العصيبة الّتي ادلهّمت بنا، ولا مغيث إلاّ اللهُ، وشفيعنا (غلواتة) ... ألا يستحق أن يكون غوثا أو قطبا بالنسبة لمريدِه؟ بل أكثر واللهِ !."[3].

والملاحظ لما تقدّم من توظيف المعتقدات الشّعبيّة الصّحراوية يجدها قليلة وانحصرت في شيء من التنبؤ والأولياء الصالحين، وهذا راجع لطبيعة المجتمع الصّحراوي المحافظ البعيد عن الشرّكيات والغلوّ إلا فيما ندر.

المبحث السّادس: توظيف الدّين في الرّواية

من الوهلة الأولى وعند قراءتنا للرّواية يتبيّن لنا أنّ صاحبها قارئ لكتاب الله تعالى ،إن لم نقل حافظًا له، وهو ما تجلّى منذ الصّفحات الأولى للرّواية لمجموع الاقتباسات القرآنيّة في صفحاتها. ويظهر ذلك في

[1] منا قيامة شتات الصحراء، ص 43.

[2] المصدر نفسه، ص 43.

[3] منا قيامة شتات الصحراء، ص 61-62.

سياق الكاتب في حديثه عن جواز اِستعمال كلمة (القيامة) في الخيال والتّصوّرات من عدمه ﴿**قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ**﴾[1].

وفي غمرة حديثه عن ظروف معسكر التّجنيد ووصِفِ قائده (أبو جاسم) وصفًا خارجيًا ومعنويًا فهو "مُهابٌ جدًّا ... في قسمة هيئته من الطّول والعرض، عيناه جمرتا فحم ... له شارب كثيفٌ كالمكنسة والله ... الكل يخشاهُ، ويتفادى تحميرته الوعرة، ومع هذه الشدّة في وقت التّدريب تراه ليّنًا، ﴿ **وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾"[2].

في إشارة إلى صفة القائد العسكريّ وما يتّصف به من خشونة وقسوة في مقابل اللّين واللّطافة وهو تَضادٌ حَسَنٌ يَشْفَعُ لِصاحبه العسكريّ .كما جرى توظيف جملة من الاقتباسات من القرآن الكريم عن نوادر معتقل (أنصار)، وتداولهم لشاش بوكار طلبًا لبركته "وجعلته إشاعةً بيننا، كل يوم هو في شأن طيلة 16 شهرًا"[3].

وهو ما يتناصّ مع القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾[4].

وفي قول الكاتب: "حدث مرّة ،في شهرنا الثّامن بالمعتقل بعد أن تحالفت علينا الهموم والأحزان، بعد أن أصبح بعضنا، مستهلكًا لحصّته اليوميّة من السّجائر، ويقول هل من مزيدًا"[5].

وهو تناص من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ**﴾[6].

وهو تناص وظّفه الرّوائي في حديثه عن عدم الشّبع من التّدخين جرّاء توالي الهموم والأحزان عليهم وعلى أصدقائه في المعتقل طلبًا لنسيان هذه الهموم.

---

[1] سورة الأحزاب، الآية: 63.

[2] سورة الأنعام، الآية: 164.

[3] منّا قيامة شتات الصّحراء، ص 93.

[4] سورة الرحمن، الآية: 29.

[5] منّا قيامة شتات الصّحراء، ص 96.

[6] سورة ق، الآية: 30.

وفي موضوع آخر لمّا تحدّث عن الأوضاع في السِّجن وما لاقوْهُ من ضيافة لا تليق إطلاقا بالضّيوف الكرام حيت اِستعمل الفعل (تَغْشَاكَ) ولفظ (من كلِّ جانب) وهو اِقتباس من القرآن الكريم، فالأولى في قوله تعالى: ﴿**يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ**﴾[1].

وفي موضع آخر: ﴿**تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ**﴾[2].

أما لفظة (من كل جانب) فقد وردت في قوله تعالى: ﴿ **لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ**﴾[3].

في إشارة من الرّاوي إلى الحالة المزرية الّتي عاشها في المعتقل.

وفي موضع آخر حين سأل السّجان بادي عن جدوى ترحاله وأسره، وهدفه في الحياة: "وأنت ماذا تفوزُ هنا؟ قل لي بربّك !! نجحت وظفرت بالأسر، السّلاسل، الحياة الضَّنكة"[4].

لقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ**﴾[5].

وقد اِستحضرها الرّوائي ليدعِّم حديثه بأنَّ ما يصبُوا إلى تحقيقه (بادي) إنّما هو ضرب من خيال، وسراب يجنيه هو وأتباعه من وراء تصديقهم لسمكة أبريل القذافي.

وما المعيشة الضّنكة الّتي هو فيها لخير دليل. كما استحضر القرآن الكريم تناصًا في حديثه عن مضيّفهم (كَلّنصرْ) أمنوكال التّوارق "زادَهُ بسْطَةً في المال والصحّة"[6].

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 54.

[2] سورة الأحزاب، الآية: 19.

[3] سورة الصافات، الآية: 08.

[4] منًّا قيامة شتات الصّحراء، ص 297.

[5] سورة طه، الآية: 124.

[6] منًّا قيامة شتات الصّحراء، ص 341.

وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**﴾[1].

في صورة تبّين أنّ نبيّ الله لوطا ليس كقوْمِهِ ،بل هو ذو بسطةٍ في العلم والجسم و(كلَّنْصر) أيضًا تميّز عن قومه بموْفورِ المال والصّحَّة.

وفي موضع آخر، لمّا وصف الرّاوي شخصيّة مرافقه في الحافلة بإتجاه دشرة (سَبْهَا) بليبيا، خاصَّة حين يغضب فإنه "تَلَظّى وتَسَعَّر"[2].

وهما صفتا نار جهنم والعياذ بالله فالأولى في قوله: ﴿**فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى**﴾[3].

وأمّا الثانية فقد وردت في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿**وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا** ﴾[4].

وقوله أيضًا: ﴿**كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا**﴾[5].

وهو إستحضار لتدعيم حديث الرَّاوي عن بطولة مرافقه وشجاعته ممّا ولّد الخَوف لدى زملائه قبل عدوّه، ما جعلهم يلقون أسلحتهم مستسلمين فارّين.

ونخلص إلى أنّ توظيف الكاتب للمرجعيّة الدّينيّة المتّصلة بالقرآن الكريم إنما يريد بها الكشف عن حسّه الديّني، وغايته إبراز شخصيّة الإنسان المسلم الّذي يقدِّس دينه ويفخَرُ بإنتمائه وأصوله، ويبيّن مدى تعلّقه بعقيدته الإسلاميّة رغم الظّروف الّتي مرّ بها من أجل التّأسيس لوطنه.

سابعًا: **توظيف اللّهجة العَاميّة**

---

[1] سورة البقرة، الآية: 247.

[2] منًّا قيامة شتات الصّحراء، ص 325.

[3] سوة الليل، الآية: 14.

[4] سورة النّساء، الآية: 55.

[5] سورة الإسراء، الآية: 97.

وهي لغة الحياة اليومية لكلّ فئات المجتمع بِاختلاف مستوياتهم الاجتماعية، هدفها التّواصل وتحقيق الاندماج، ولكل قبيلة سِمَتُها اللّغوية الّتي تميّزُها عن غيرها.

وتَعني عند ابن منظور: "طرف اللّسان اللَّهجة واللُّهجَة: جَرَسُ الكلام والفتحُ أعلى، ويُقال: فلانٌ فصيح اللُّهجة واللَّهجة، وهي لغتُهُ التي جُبِلَ عليها فاعتادها ونشأ عليها"[1].

أما اصطلاحا: "فهي مجموعة من الصّفات اللّغوية تنتمي إلى بيئة خاصَّة، يشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة هذه اللّهجة هي جزءٌ من بيئة أوسع وأشمل تضمُّ عدّة لهجات لكلّ منها خاصّيتها"[2].

أي أنّها لغة عامّة النّاس فيما بينهم للتّواصل والتّعبير عن حاجاتهم بواسطتها.

لذلك ألفينا الصّدّيق حاج أحمد يسعى إلى توظيف اللّهجة العامّية، فكانت روايته (منَّا قيامة شتات الصّحراء) مليئة بلهجات مختلفة كون شخصيّاته في هذا النّص شخصيّات صحراويّة تارقيّة حسّانيّة، وعربية.

ونجده ركّز على توظيف اللّهجة التّواتية الصّحراوية في مواضع عديدة من الرّواية ومثال ذلك الحسّانية الّتي تُقَلِبُ العين غينًا، والتّاء سينًا والغين قافًا والحاء خاءً، "ولوْلاَ مخافَةَ التّبذير لأُعجمت كل الحروف"[3]، ومن الأسماء (يخي) و(غبد السَلام) و(غسمان) وهذه عادةُ لغوية صحراويّة .

وفي موضع آخر وردت كلمة (لَمْحِيلي) وهو "وصف عدميٌّ ينْعَتُ به العرب الحسّان عام الجفاف"[4]. وآخر في قول عجوز حسّانية "أتفو مَنُو عام شين أيَحْشُمُ لَقّينتي"[5].

[1] إيميل بديع يعقوب ،فقه اللغة وخصائصها ، دار صادر للنشر والتوزيع . ص 41.

[2] إيميل بديع يعقوب، فقه اللغة وخصائصها، دار العلم للملايين، ط1، 2005، ص 15.

[3] منَّا قيامة شتات الصّحراء، ص 10.

[4] المصدر نفسه، ص 39.

[5] المصدر نفسه، ص 241.

ونجد الكاتب هنا لم يقدِّم ترجمة لكلام العجوز لكنّه يُفهم بأنّه نَقْدُ وتَبَرُّمٌ ممّا أصابهم به هذا العام الشّين (الجفاف) ،والحسّانية لهجة منبثقة من العربيّة لهذا نجد الكاتب يُورِدُ دَوْمًا الحسّانية مقرونة بالعربيّة (العرب الحسّان) "وقال بحسّانية: شنُهوطاري؟ عَدّ يبنّو خالقْ شِيْ موزين يا ولد بويا"[1]، و"ونّي بيه خيرة كبيرة والله"[2] يردّد الحسّانيون هذا الكلام حين يستملحون شخصًا، أو ما بَدَر منه من فعل حسن.

ونجده أورد التّارقيّة في قوله: (مَنَّا) "... اِغتيالات الجفاف وكما نستعيض به في لساننا التّارقي عن القحط والجدْبِ بلفظ مَنَّا"[3] وكلمة (أسوف) وهي تارقية تعني الحنين يقول بادي العاشق: "أطلقتها اِسمًا على هكتا مؤخّرًا، بعد أن نال الموت حتى من أضرابنا ومقرَّبينا"[4] وظّف اللّهجة التّمَاشقيّة والّتي هي في الأصل منبثقة من التّارقية في قوله: "قرأ (أخمادو) (إيهَنْ) الّتي تفيد في لغتهم التّماشْقية الخيمة بمن فيها"[5].

كما نجد كلمة (اَلْبَرْكَتْ)، "وهو لفظ تارقيّ محلّيٌّ يحيلُ على طلب الاِستزادة في السّعر من البائع"[6] وهو في الأصل "سوق إقليمي إفريقي للعبيد، خارج مدينة غات، حيث تلتقي فيه القوافل ... ويقع التبضّع في سلعة الإنسان"[7].

كما أرود أيْضًا أسماء أماكن وقبائل بالتارقيّة "تقول روايات التّوارق، أنّ برج باجي مختار في تاريخه القديم، كان يطلق عليه (إندق) ومعناه أرض الّطين"[8]، وقبائل تارقية (إموشاغ) و (أولمْدَن) توجد بالنّيجر.

---

[1] المصدر نفسه، ص 59.

[2] المصدر نفسه، ص 84.

[3] المصدر نفسه، ص 10.

[4] منا قيامة شتات الصحراء ، ص 48.

[5] المصدر نفسه ،ص 85.

[6] المصدر نفسه، ص 168.

[7] المصدر نفسه، ص 168.

[8] المصدر نفسه، ص 234.

والملاحظ أنّ الكاتب كلّما استعمل اللّهجتين الحسّانية والتآرقيّة أعقبهما بالفصحى، لأنّه أراد من خلال هذا التّوظيف مخاطبة العقول المحليّة للمنطقة وحتّى الخارجيّة من القرّاء قصد فَهْمِ ما يقول.

وهذا دليل على أصالة وإعتزاز الرّوائي بلهجات أهل الصّحراء الحسّانية والترقية والعربية وهو ما ظهر في تداولهما حتى في معتقل (أنصار) وَسْط سجناء من مختلف الدّول العربية دون عقدة نقص أو خجل، وكان كلّ مرّة يُريد لهجة منها إلاَّ و ترجمها بالعربيّة حتى تُفهم من لدُن القارئ.

المبحث السّابع: الشّخصيات التّراثية والتّاريخية

يُعَدُّ توظيف الشّخصيات التّراثية والتّاريخية في الأدب عمومًا والرّواية خصوصًا دليلاً على مدى توثيقيّة النّص، وكبرياء الأمّة وحضورها التّاريخي العريق وحاضرها المجيد، كما قد يَدُل أيضًا على حالات انكسارها الحضاريّ، والأديب المتمكّن هو الّذي يستلهم وجْه الشّبه بين أحداث الماضي، ووقائع العصر، فيطلق العنان لخياله ليكشف عن صدى صوت الجماعة وصدى نفسه، وهذه الشّخصيات التّراثية لابُدّ أن تكون ذات حضور واسع، وذيوع لافت لدى المثقّفين لما لها من أفكار ورؤى ومقوّمات تؤثر في حياة الأمة.

ومن الشّخصيات التّراثية الّتي ذكرها الرّوائي حاج أحمد في (منَّا قيامة شتات الصحراء) شخصيّة الشّيخ الإمام المغيلي، الذي ولد بتلمسان وأخذ العلم على يد الشّيخ عبد الله بن يدير، وعبد الرّحمن الثّعالبي، وغادر تلمسان بسبب خلاف وقع بينه وبين ملوك بني عبد الواد، فانتقل إلى مدينة (تمنطيط) واشتغل بالتّدريس هناك، وأثناء إقامته لم يرض بتصرفات يهود توات الّذين سيطروا على الحياة برُمتها ،ينتمي إلى الطّريقة القادرية، زار نيجيريا ومكث بمدينة (تنبوكتو) معلّمًا فيها وعاد إلى توات وتُوفي بها سنة (909هـ/1503م)[1].

والباعث من وراء هذا التّوظيف هو تبيان عراقة الصّحراء وأصالتها في استضافة العلماء فهي ليست أرض فقر، بل هي أرض حضارة.

[1] صفحة الجزائر المجد، (أنترنيت) 2024/05/28 على الساعة 03:00.

ومن الشّخصيات التآريخية نجد شخصيّة الرّئيس الرّاحل معمر القذافي اللّيبي، السّاعي إلى مساعدة الصّحراويين الأزواد في تحقيق حلم تأسيس الوطن كغيرهم من الأقليات. وطن موعود تجسّد في "سمكة أبريل"[1]، وإذ يصور الرّاوي هنا نضال القذّافي مقرونًا بنضال الأزواد كلاهما لا يختلفان عن بعضهما البعض.

كما نجده وظّف شخصية البطل الشّهيد (باجي مختار) الّذي آثر الحرب ضدّ فرنسا من الجهة الجنوبية وهذا التّوظيف يبعث على الإعتزاز والافتخار بالدّور الإيجابي الفعّال الّذي قام به أهل الصحراء لأجل طرْد فرنسا الاستعماريّة من الجزائر كلّها.

كما وظّف الرّوائي شخصيّة (ماركس وإنجلز) بإعتبارهما من واضِعي الأسس الفكريّة للاشتراكيّة العلميّة والتّرويج لها داخل الأوساط العّمالية ورَأَيَا أنّ طبقة البروليتاريا تتعرّض للاستغلال ومن واجبها الإنعتاق وتحقيق المساواة.

وهو حال الـ 21 سجينًا المعتقَلين مع (بادي) و(غلواتة) ورفاقه في معتقل (أنصار) وأنهم "لا يُسَرّون لأيام الجُمع، ولا يبتهجون لأيام الأحادِ ... إنهم شيوعيّون، تشيّعوا لأفكار رَجُل يُدعي ماركس"[2].

و(غلواته) رجل يُريد أن يتفقّه في السّياسة والإقتصاد لكنّه لمّا عَلِم بمبدإِ الرّجلين قال: "لو أنّ ماركس و(إنجلر) عاشا بين ظهراني أهل الصّحراء (بتيلمسي) لَاستشاطا منّي ،أوّلا بسبب مَيْلي اللاّفت لجمع المال وطرق تناسله"[3]. في إشارة إلى تغليب منفعته الخاصّة على العامة وهو ما يتعارض مع مبدإ الرّجلين.

إضافة إلى توظيف شخصيّة الثّائر (غيفارا) والّتي لا تختلف كثيرًا عن شخصيتي (ماركس وإنجلز) في البحث عن مصلحة العامة ومحاربة المنفعة الخاصة أيا كان نوعها.

[1] منّا قيامة شتات الصّحراء، ص 202.

[2] منًّا قيامة شتات الصّحراء، ص 91.

[3] المصدر نفسه، ص 92.

وتوظيف هذه الشّخصية في الرّواية إنما هو باعث على التّعريف بقضية هؤلاء المعتقلين وقضاياهم من أجل حلم وطن الأزواد ،الوطن الجامع لهم جميعًا، فجاء التّوظيف من دون تكلّف استدعاه السّرد والحدث توظيفًا يوحي بتشابه المبْدَإِ والفكر والهدف.

كما وظّف شخصية تراثيّة إسلاميّة ممثّلة في شخص (ابن سيرين) في معرض حديث (بادي) عن رؤياه لمنام "علَم أزواد يرفرف خفّاقًا في السّماء على جبال كيدال ووادي تيلمسي وصّحراء منكا ... على جمل يتمايل به في غمرة ريح قويّة تعصف بالمكان"[1].

وهذا توظيف يدلّ على مدى التّشبّع بالقيم الإسلاميّة والارتباط بالعقيدة الحقّة بِاعتبار (ابن سيرين) شخصيّة تقيّة ورِعَة اتصلت بمجموعة من الصّحابة كأنس بن مالك وأبي هريرة وعبد الله بن عباس وغيرهم ...

[1] المصدر نفسه، ص 373.

خاتمـة

خاتمـة:

ها نحن نصل إلى ختام عرضنا الّذي تطرّقنا فيه إلى قضيّة مهمّة، وهي قضيّة توظيف التّراث الصّحراويّ وأثره وغايته في رواية (منّا قيامة شتات الصّحراء) ونكون بذلك قد توصّلنا إلى مجموعة من النّتائج:

- يعدّ التّراث بصفة عامّة من مخلّفات الأجداد للأحفاد، يُتوارث جيلاً بعد جيل، فهو قلبهم النّابض بالحياة وسرُّ كيْنونتهم، يعبَّر به عن آمالهم وطموحاتهم ويسجّل بطولاتهم وانكساراتهم.

ووجود التّراث في حياة أيّ أمّة هو رمز بقائها وديمومتها الحضاريّة (إن أمّة بلا تراث هي أمّة بلا ماضٍ ولا مستقبل ...).

- التّراث نوعان: مادّيّ وفكريّ ثقافيّ، حيث يشمل التّراث الماديّ أنواع الأطعمة الشّعبية والعمارة والأسواق واللّباس والحرف والمهن.

أما التّراث الفكريّ الثّقافيّ فيشمل سلوكات الشّعوب في الاعتقاد والأمثال والسّيَر والأغاني الشّعبيّة، وكلّ هذا نابع من وجدان الشّعوب وخصوصيّة مجتمعاتها.

- للتّراث أهميّة كبرى لأنّه يمثّل كيان الأمّة وعنوان شخصيّتها وهُويّتها، يصوِّر واقعها دون تلوين، وتوظيف الحاج أحمد الصّدّيق لهذا التّراث بأنواعه من تراث ديني وتراث شعبيّ وثقافيّ دليل على أصالته واعتزازه بتراثه الصّحراوي النّابع من التّراث العربيّ الأصيل .

- يغري التّراث المؤلّفين والكّتاب فَيوَظّفونه في إيداعاتهم لأنّه يجري مجرى الدّم في عروقهم فيمارس سلطته عليهم بسلاسة .

- أسْهَم التّراث الصّحراويّ إسهامًا بالغًا في البناء الفنّي للعمل الأدبيّ وذلك من خلال بناء الشّخصيات وتنامي الحدث ما أسْهَمَ في نجاح العمل الرّوائي في منَّا.

- وظّف الكاتب الصّحراء كفضاء مفتوح في الرّواية ما جعلها مسرحًا تجلّى فيه التّراث تاريخا وحضارةً ومرجعًا وعادات وتقاليد وأعراف متأصّلة في دم الإنسان الصّحراويّ.

- تجلّى التّراث الدّيني في الرّواية من خلال التّناصّ والاقتباس والاستحْضار الصّريح لبعض الآيات القرآنية، إذ يُعدُّ نُقلة إبداعية زادت النّص واقعية ،جمالاً وتوثيقية ، وغاية ذلك كلّه إبراز ثقافة الكاتب الدّينيّة وتجذّر انتمائه .

- صوّر الكاتب الحاج أحمد واقع الإنسان الصّحراويّ التّارقيّ التّوّاق إلى الحريّة الرّافض لفكرة (كذبة الوطن) ما جعله يجوب صحراء ليبيا والنيجر ومالي للذّود عن فكرة الوطن.

- اِستطاع الكاتب أن يوظّف التّراث وفق مقاربة ذكية، يسعى من خلالها إلى توثيق الإرث الصّحراوي لدى القرّاء والتّعريف به ونشْرِه.

جاء توظيف التّراث توظيفًا طبيعيًا لا يعتريه أيّ تكلّف ولا تصنّع ما يدُلّ على عبقريّة المؤلّف وخبْرتهِ وفق مقتضى السّردِ

الملخص.

يُمثلُ التراثُ روحَ الأُمة ونبضُ وجودها، وأحدُ مقوماتها الشخصية ورمزُ أصَالتها وعُنوان بقائها، فهو كلٌ متشابك من الموروثات الثقافية والاجتماعية والعادات السلوكية والقولية التي تناقلتها الأجيال .

وَحُضورُ التراث في الأدب الجزائري عُموما والرواية الجزائرية خُصُوصا له أهمية كبيرة لارتباطه بماضي الأمة الجزائرية، ودراسته تهدف إلى إظهار سبل هذا التواصل وربط الصلات الوشيجة بين الماضي الزاخر الذي طالما افتخرنا به والمستقبل الآمل للغد المشرق.

والروائي **الصديق حاج أحمد** مشى على درب من سبقوه من الكتاب والروائيين الجزائريين، إذ حاول في أعماله الروائية وخاصة في رواية " **منا** " التعريف بتراث الصحراء وابراز هويَتها وأصالتها وذلك باستحضار العادات والتقاليد والحرف وغيرها باعتبارها تمثل الرصيد الثقافي الذي يحمل في طياته الخصائص النفسية والاجتماعية والتاريخية للمجتمع الجزائري، وهذا ما حاولنا الكشف عنه في دراستنا هذه المتواضعة.

Summary.

Heritage represents the nation's spirit and its raison d 'être, one of its personaltraits, its symbol of authenticity and its title of survival. It is each of the intertwined cultural and social legacies, behavioural habits and generational utterances.

The presence of heritage in Algerian literature in general and the Algerian narrative in particular is of great importance because it is linked to the Algerian nation's past. Its study aims to demonstrate ways of communicating and linking the nefarious links between the long-pro ud past and the hopeful future of bright tomorrow.

The novelist Haj Ahmed walked along the path of previous Algerian writers and novelists, trying in his novelists, especially in the novel **"Mena** ", to familiarize himself with the heritage of the Sahara and to highlight its identity and authenticity by invoking customs, traditions, crafts and so on as to represent the cultural asset that bears the psychological, social and historical characteristics of Algerian society.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

المصادر والمراجع :

المصادر:

الكتب :

1. إبراهيم الكوني ، التبر ، أليس للكتب والنشر ، سبتمبر 1990

2. الصديق حاج أحمد: منّا قيامة شتات الصّحراء، الدواية للنشر والتوزيع والطبع، الجزائر، ط2، 2023.

3. الحبيب السايح ،تلك المحبة ،دار ميم، ط 2013

4. السعيد بوطاجين ،أعوذ بالله ،دار الأمل ، ط1 ،الجزائر 2006

5. رشيد بوجدرة ،تيممون، دار ميم للنشر ،ط1،الجزائر 2016

6. رشيد بوجدرة ،تيممون ،الاختلاف ،الجزائر 2018

المراجع:

1. حسن المودن، الرواية والتحليل النصي ،دار العربية للعلوم.

2. يمنى العيد، الرواية العربية، المتخيل وبنيته الفنية، دار الفارابي، ط1، بيروت، 2011.

3. علال سنقوقة ، المتخيل والسلطة. في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية، منشورات الاختلاف، ط1، جوان 2000.

4. رشيد كلاع، الخيال والتخييل عند حازم القطاجني عن النظرية والتطبيق.

5. الفارابي إحصاء العلوم، ط1991،1، مركز الإحياء القومي للترجمة.

6 . محمد شكري عياد ،أرسطو طاليس في الشعر، دط ،1967، دار الكتاب العربي.

7 . مشري بن خليفة، القصيدة العربية الحديثة في النقد العربي المعاصر. ط1، منشورات الاختلاف ،2006، منشورات الاختلاف.

8 . الطاهر روابنية ،الفضاء السيري وتداعيات الصوت الروائي في (تيميون) لرشيد بوجدرة، دار الاجتهاد، الجزائر، 1994.

9 . سامية حسن الساعاتي: السحر والمجتمع، دار النهضة العربية، بيروت، 1983

10 . بهاء الدين محمد يزيد، زمن الرواية العربية .

11 . محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة.

12 . ابن المنظور ، لسان العرب ، دار صادر للنشر والتوزيع .

13 . إيميل بديع يعقوب، فقه اللغة وخصائصها، دار العلم للملايين، ط1، 2005.

14 . إبراهيم الكوني ،التبر، أليس للكتب والنشر، لندن، سبتمبر1990.

15 . السعيد بوطاجين، أعوذ بالله (رواية. الاختلاف. الجزائر، ط1، 2016.

المعاجم :

1. جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري :لسان العرب ط1 ،مج5 ،دار صادر بيروت ، لبنان.

المجلات والدوريات :

1. لزهر مساعدية ،في مفهوم الثقافة وبعض مكوناتها (العادات ، التقاليد ، الأعراف) :مجلة الذاكرة ،مخبر التراث الأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري .العدد 9. جوان 2017 ،ميلة الجزائر .

المواقع الالكترونية :

1. صفحة الجزائر المجد 2024/05/28 ، الساعة 15:00

الملاحق

السّيرة الذّاتية للحاج أحمد الصديق:

هو (الصّديق حاج أحمد) الزّيواني أكاديمي ورائيّ جزائريّ ولد بتاريخ 19 ديسمبر 1968 بالواحات الجزائريّة بأدرار، زاوية الشّيخ المغيلي.

تحصّل على البكالوريا والليسانس والماجستير والدكتوراه ، يشتغل أستاذًا محاضرًا لمقياسَي اللّسانيات وفقه اللّغة بجامعة أدرار، تقلّد عدة مناصب منها نائب عميد كلية الآداب واللّغات، تفرَّغ بعدها للتّدريس والبحث والإبداع، مساهم دائم بالصّحافة الجزائريّة المكتوبة بالعربية على غرار (جريدة العرب) اللّندنيّة، ومجلة (الجديد اللندنية).

أصدر أول رواية عام 2013 تحت عنوان (مملكة الزيوان).

إنتاجاته الرّوائية:

- مملكة الزيوان 2013.
- كاماراد رفيق الحيف والضّياع 2015.
- منّا قيامة شتات الصّحراء 2021.
- إنتاجات أخرى:
- التّاريخ الثّقافي لإقليم توات 2013.
- الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته وآثاره 2009.
- شارك في ندوة بقسم اللغة العربية جامعة أدرار حول مملكة الزيوان.
- شارك في ندوة بملتقى السّرديات بأدرار حول رواية (مملكة الزيوان).ذ
- استُضيف بحصّة (ضيف الثالثة) بالقناة التلفزيونية الثالثة الجزائرية.

- فاز بالجائزة التقديرية الوطنية من وزارة الثقافة نظير ثلاثية (مملكة الزيوان 2013) و (كاماراد 2016) منًّا 2021.
- ترشّح لجائزة القائمة القصيرة البوكر العربية 2023

ملخص الرواية:

تدور أحداث هذه الرواية في الصّحراء الكبرى بمجيئ عام القحط والجدب كما سميه التارقيون منًّا عام 1973، تتأزّمُ الأوضاع ، فيفكر أهل (بادي) في الرّحيل لإنقاذ أنفسهم وحماية مواشيهم من الهلاك، فالمواشي هي رأس مال الصّحراوي، بحكم اقتصاده الهشّ ، إذ يمكن لمن يملك آلافا من رؤوس الأغنام والبقر والجمال أن يغدُوَ فقيرًا إنْ أمسكت السّماء ماءها، لذلك فهجرة (بادي) كانت هجرة قسْريّةً لأجل ما ذكرنا، لكن فكرة الوطن ظلّت مهيمنة عليه هو و أمثاله الصّحراويين ،فلاقوا من الشّتات ما لاقوا وركبوا من الأهوال والأخطار والموت مَرّات بدءًا من ليبيا وخوضهم حربًا بالوكالة نتيجة تصديقهم لوعود القذّافي أو كما يسمّيها الروائي الحاج أحمد كذبة أبريل أو كذبة الوطن في حرب تشاد ولاسيما ما تكبدوه في معتقل (أنصار) بجنوب لبنان لمّا اِبتلَعَ بادي و (سوخا) طعم نصرة القضيّة الفلسطينيّة .و تتمّ العودة أخيرًا إلى الوطن، وأي وطن ؟؟ وطن تحمل الجمال أشتاته، ويتراءى للأزوادي حلم وطنه في مَنَامِه وعَلمه يرفرف خفّاقًا عاليا على جبال كيدال ووادي (تيليمسي) ووديانها وصحراء (مَنَكَا).

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وتقدير .....

مقدمة: ..... أ

مدخل

المبحث الأول: مدخل عام حول الرواية العربية الصحراوية 4

المبحث الثاني: المتخيل الروائي 5

الفصل الأول

المبحث الأول: المتخيل 8

المبحث الثاني: تحليلات الصحراء في الرواية الجزائرية المعاصرة 9

الفصل الثاني

الأشكال التراثية الواردة في الرواية

المبحث الأوّل: المثل 14

المبحث الثاني: العادات والتقاليد 23

المبحث الثالث: اللبّاس 29

المبحث الرابع: المهن والحرف 31

المبحث الخامس: المعتقدات الشّعبيّة والدينية 34

المبحث السادس: توظيف الدّين في الرّواية 37

المبحث السابع: الشّخصيات التّراثية والتّاريخية..... 43

خاتمة: 47

قائمة المصادر والمراجع 50

الملاحق 54

فهرس المحتويات 57